خطبة السّيدة زينب بنت علي ابن أبي طالب – عليهما السّلام– في مجلس يزيد بن معاوية في الشّام (دراسة في بنية النّص)

م. د. سعيد سلمان جبر
جامعة واسط – كلية الاداب

المقدمة:

الحمد لله كثير النّعم، متواصل الكرم، كرّمنا بالقرآن، وبخير الأنام محمد - صلّى الله عليه وآله وسلّم – وشرّفنا بأهل بيته الكرام، أهل بيت الرحمة نشأوا في بيت النبوة، وتوارثوا العلم عن جدّهم من دون مدارسة، أو مداومة بل ألهموه إلهاماً فطرياً، فَعُرفوا بأنّهم أهل العلم، وأعلم زمانهم بالقرآن، وشرائعه، وأحكامه، وغيرها من العلوم، فضلاً عن الفصاحة والبلاغة، فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السّلام– أعلم الناس بعد الرسول محمد – صلّى الله عليه وآله وسلّم – لقد كان سيّد البلغاء، وإمام الفصحاء، لا يجارى في الفصاحة، ولا يبارى في البلاغة، منه تعلم الناس الخطابة،والبيان، فما بالك بأهل بيته الذين عاشوا في كنفه، وتربّوا في حجره، فكانت السّيدة زينب – عليها السّلام– وهي ابنته الكبرى قلّ نظيرها في العفة والطّهارة، والدين، والتقوى، فضلا عن الفصاحة والبيان، إذْ وقفت أمام أعتى العتاة من دون خوف، أو وجل، فألقت عليه خطبة قلبت فيها الموازين، فالضحية هو المنتصر، والقاتل هو المنهزم، بألفاظ قوية رنّانة تُنطقُ الحجر والمدر، يستلهم المخاطب منها العبر؛ لذا رأيت أنْ أقف عند هذه الخطبة وقفة متأملٍ لعلي استطيع أنْ أتقرب بها لهذا السّيدة الجليلة، وأحاول أنّ أنصفها بأنْ أكشف عن جانب من جوانب فصاحتها وبلاغتها، وقدرتها على التعبير عن حالها، وحال إخوتها بأدق تعبير، وأفصح تفسير، وأصدق تصوير، متخذاً المنهج النصي وسيلة لدراستها من خلال الوقوف على بنياتها المتنوعة: الموضوعية، والدلالية، والمعجمية، والنحوية وأثر هذه البنى في ترابط النص، وتماسكه من حيث الألفاظ والمعاني.

وأخيراً أرجو أنْ أكون قد وفّقت في بيان الأسرار البيانية في بناء الخطبة، فإنْ حصل ما أصبو إليه فلله الحمد، وإنْ لم يكن فحسبي أنّني حاولت، وبالله التوفيق.

الأبنية ا لموضوعية للخطبة:

تناولت السّيدة زينب - عليها السّلام- قضية غاية في الأهمية في المجتمع الإسلامي، وهي قضية الصراع بين الحق والباطل، والعدل والظلم، واختلاط المفاهيم عند خلق كثير من الناس بسبب ظروف شتى، فوقفت السّيدة زينب - عليها السّلام- سليلة البلاغة والفصاحة النبوية لتلقي خطبة مدويّة تزلزل عرش يزيد المكلل بالظلم، لتصدح بالحق وتظهره، وتدمغ الباطل وتمحقه، كاشفة حقيقة يزيد المعادية لبيت النبوة المحمدية، وتفنيد انتصاره المزعوم في معركة الطف الخالدة. فهذه هي المعاني التي تمثل البنية الكلية للخطبة، أو البنية العليا لها، وهي نصّ توافرت فيه شروط الإبداع، فالعمل الفني أو النّص الأدبي إلى جانب توافره على مواقف إنسانية نبيلة، وأفكار رفيعة، يجب أنْ يقترن ببنية نصية منسجمة، وجمال لغوي مثير يكون قادراً على جذب انتباه المتلقي، والتأثير عليه، وإقناعه[١].

وبما أنّ لكلّ نصٍ موضوعاً كلياً، أو بنية عليا فإنّ له أبنية كبرى ترتبط أساساً بالموضوع الكلي "فهي تحقق التماسك الكلي؛ لأنّها تتعلق بمستوى الدلالات والعلاقات بين الأشياء والتصورات"[٢].

إذنْ فالتحليل النصي يبدأ من الأبنية الكبرى المتحققة بالفعل، وهي تعدّ خطوة هامة على مستوى تحليل العلاقة بين الوحدات النصية، لأنّ هذا الأمر مرهون بالكشف عن البنية الكبرى[٣].

والبنية الكبرى للنص هي بنية تجردية كامنة تمثل منطق النص، وهي البنية العميقة والدلالية التي ترتبط أساساً بالموضوع الكلي، فضلا عن كونها تتسم بالنسبية من جهة تعدد مستويات هذه الأبنية، وتدرجها في النص الواحد، وعلاقة كل بنية بما تسبقها، وما تليها[٤].

وقد بينا أنّ البنية الكلية هي كشف هوية يزيد وتفنيد انتصاره وهذا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بكل بنية احتوت عليها الخطبة، ممّا أدى الى أنْ يحقق تماسكاً كلياً لأنه يتعلق بمستوى الدلالات والعلاقات بين الفقرات داخل الخطبة.

فكل بنية كبرى في الخطبة متعلقة بموضوع الخطبة الأساس وبعبارة أخرى إنّ لكل فقرة وظيفة خاصة متعلقة ببنيتها العليا، ويمكن حصر الأركان المهمة التي تتشكل منها البنية النصية الكلية للخطبة عند أهم المواقف في نصوصها النثرية ويمكن توزيعها كما يأتي:

١. البنية النصية الكبرى الأولى للخطبة هي: إظهار كفر يزيد وخروجه عن دين الحق وهو دين الإسلام،وخير ما يبين هذه الحقيقة هو الاستشهاد بقوله تعالى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون}(الروم ١٠).

فقد افتتحت السّيدة زينب خطبتها بهذه الآية المباركة لما فيها من دلالات تتناسب مع المقام، فمعنى الآية: إنّ عاقبة كلِّ مَنْ أساؤا السوآى مثلهم، والمراد (بالَّذينَ أساؤُا) كلُّ مسيءٍ من جنس تلك الإساءة وهي الشّرك[٥]، و(السوآى) هي أسوء العقوبات وأفظعها التي هي العقوبة بالنّار، وقد وُصفت بها العقوبة مبالغةً، كأنّها نفس السوء[٦]. وقوله (أنْ كَذَّبُوا) بمعنى: لأنْ كذبوا، ويجوز أنْ تأتي (أنْ) بمعنى: أي؛ لأنّه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول، وثمة وجه آخر، وهو أنْ يكون (أساؤا السّوأى) بمعنى: اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا، و (أنْ كذبوا) عطف بيان لها[٧].

وعلى هذا لا يخرج يزيد عن كونه مسيئا، فتكون عاقبته السوأى التي هي أشد العقوبات؛ لأنّ هذه الآية تشمل كل مَنْ أساء فكانت السّيدة زينب - عليها السّلام– غاية في الدقة في وصف يزيد، إذْ أنّ افتتاح الآية بـ (ثمّ) التي تدلّ على التراخي الرتبي، لأنّ هذه العاقبة أعظم رتبة في السّوء من عذاب الدنيا، فضلاً عن مجيء هذه الآية بالتهديد لمشركي العرب، فكأنَّ السّيدة زينب – عليها السّلام- تهدده بهذه العاقبة المتحققة الوقوع وليس أدلّ على ذلك من وقوع الفعل الماضي (كان) موقع الفعل المضارع؛ للتنبيه على تحقق وقوع العقوبة[٨].

ولكي تؤكد السّيدة زينب - عليها السّلام– صدق استشهادها بهذه الآية، ذكرت أفعال يزيد وهي: أخذتَ علينا أقطار الأرض، وضيّقتَ علينا آفاقَ السّماءِ، فأصبحنا لك في أسارٍ، نساق إليكَ سوقاً في قطارٍ. وهذه أفعال تُعبّر عن خلق يزيد الخارج عن الإسلام، بفعلته النكراء مع أبناء وبنات رسول الله محمد – صلّى الله عليه وسلّم – ثم انتقلت إلى وصف حال يزيد لتنبهه إلى أمر غاية في الأهمية وهو: لا تظن أنّ ما حصل لنا هو ذلٌّ وهوانٌ لنا من الله، وما حصل لك من الغلبة والظفر هو لعظم منزلتك وكرامتك عند الله.

فتقول: "وأنتَ علينا ذو اقتدار أن بنا من الله هواناً، وعليك منه كرامة وامتناناً، وأنّ ذلك لعظمِ خَطركَ وجلالةِ قَدركَ". ممّا ترتب على ذلك اعتقاده الخاطئ، وشعوره بالنصر الزّائف، بعد أنْ ظهرت عليه إمارات الزهو، والإعجاب بالنفس، وحركات طائشة لا تنمّ عن خلق إسلامي، فوصفته بقولها: "فشمخْتَ بأنفِكَ، ونظرْتَ في عطفِك، تضربُ أصْدريكَ فرحاً، وتنفضُ مَذْرويْكَ مَرحاً، حين رأيْتَ الدنيا لكَ مستوسقةً، والأمورَ لديكَ متسقةً، وحِينما صَفا لكَ مُلكُنا، وخلُصَ لك سلطانُنا".

وكلّ ما ذكرنا هي أبنية صغرى تتسق مع بعضها لتعبّر عن البنية الكبرى التي نحن بصددها. وختمت السّيدة زينب هذه البنية الكبرى بتحذير يزيد من الجهل الذي

أعمى بصيرته، فانقلبت لديه موازين الأمور قائلة: "فَمَهْلاً مَهْلاً لا تطشْ جَهْلاً" مذكرة إيّاه،ومحتجة بآية قرآنية هي خير وصف لحالة يزيد "أنسِيْتَ قولَ اللهِ عزّ وجلَّ: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} آل عمران ١٧٨.

فالمراد بـ (الإملاء) في الآية الكريمة: الإمهال في الحياة بتأخير حياتهم، وعدم استئصال الكفار في الحرب، إذْ فرحوا بالنصر يوم أُحد، وكان قتلى المسلمين في ذلك اليوم أكثر من قتلى المشركين[٩]. ومعنى ذلك أنّ بقاء الكفار ليس خيراً من قتل المؤمنين؛ لأنّ هذا البقاء صار وسيلة للخزي، والعار في الدنيا، والعقاب الدائم في الآخرة. في حين صار قتل المؤمنين وسيلة إلى الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة[١٠].

ومن الجدير بالذكر أنّ هؤلاء المشركين يحسبون القتل شراً لهم؛ لأنّهم لا يؤمنون بجزاء الشهادة في الآخرة، ولكفرهم بالبعث بعد الموت[١١]. لذلك فاللام في قوله تعالى: "ليزدادوا إثما" هي للعاقبة، كأنّه قال: إنّ عاقبة أمرهم ازدياد الإثم، ولا تحسبنّ أنّ ذلك خيراً استحقوه بفعلهم، أي: لا تغتروا بذلك فتظنوا أنّه لمنزلة لهم[١٢].

وهذا خير مصداق لما جرى في معركة الطف، فالحسين – عليه السّلام– قُتل فصار نبراساً في الدنيا، وسيّداً للشهداء في الآخرة، في حين أمهل الله يزيد، وهذا الإمهال صار سبّة ولعنة في حياته ومماته.

نخلص من ذلك أن السّيدة زينب – عليها السّلام– وضعت الأمور في نصابها وبيّنت ليزيد حقيقة أمره باستشهادها بهذه الآية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالبنية الكبرى لهذه الفقرة، فضلاً عن اتساقها بالآية التي استهلت بها الخطبة، فأصبحت دائرة نصية متلاحمة بعضها يأخذ برقاب بعض.

٢. البنية النصية الكبرى الثانية: هي توبيخ يزيد لسوء معاملته بنات رسول الله: وتبدأ بقولها: "أمِنْ العدلِ يا بن الطلقاء؟ تخديرك حرائرك وإمائك، وسوقك بنات رسول الله سبايا... عتواً مِنكَ على اللهِ وجحوداً لرسولِ اللهِ، ودفْعاً لما جاء به من عند اللهِ". فافتتحت هذه البنية باستفهام خرج للدلالة على الإنكار بسبب سلوك يزيد المُشين، ومعاملته القبيحة التي تتنافى مع روح الرسالة الإسلامية التي يحكم باسمها، وهي رسالة تستدعي العدل والإحسان، ولاسيما إلى بنات رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – هذا الرسول الذي أحْسَنَ معاملة جدّ يزيد، وأبيه في يوم فتح مكة حين قال لهم: "اذهبوا فأنْتُم الطّلقاءُ"[١٣]وهو ما أشارت إليه السّيدة زينب عليها السّلام عندما خاطبته "يا بن الطلقاء" تذكيراً له بما صنع جدّها، وبما صنع هو اليوم. ونلحظ مما سبق أنّ الخطاب ظلّ موجّهاً نحو يزيد، ولا يخفى الترابط النصي مع ما تقدم، فهذه الأعمال والجرائم هي استمرار للنهج المنحرف عن جادة الإسلام السمحاء، بل بمعاملته هذه

أراد القضاء على الإسلام، وبما جاء به رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – من عند الله تعالى.

٣. البنية النصية الثالثة: بيان أثر عرق يزيد على أفعاله: تتضمن هذه البنية الكبرى ثلاث أبنية صغرى تتسق مع بعضها مكونة البنية الكبرى، أولها عدم التعجب من أفعاله بسبب أصله، وقد بدأتها بقولها: "ولا غرو مِنكَ ولا عجبٌ من فعلِكَ، وأنّى يُرتَجى مراقبة مَنْ لفظَ فوه أكبادَ الشّهداءِ، ونبتَ لحمُهُ بِدماءِ السّعداءِ، ونَصبَ الحربَ لسيّدِ الأنبياءِ، وجَمعَ الأحْزابَ، وشَهرَ الحرابَ، وهزَّ السّيوفَ في وجهِ رسولِ اللهِ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – أشدُّ العربِ جحوداً، وأنْكرُهُم له رسولاً، وأظهرُهم له عدواناً، وأعتاهُم على الرّبِ كُفراً وطغياناً ألا إنّها نتيجة خلال الكفر.

فالسّيدة زينب – عليها السّلام– لا تتعجب – كما قلنا – من فعال يزيد فهو حفيد امرأة حقودة، وهي هند آكلة الأكباد[١٤]، وحفيد أبي سفيان الذي جهّز الجيوش، وجمع الأحزاب لقتال سيّد الأنبياء محمد – صلّى الله عليه وسلّم –

والبنية الصغرى الثانية: هي حقد يزيد على أهل البيت – عليهم السّلام– والثأر لأشياخه في معركة بدر.

ويمكن أنْ تبدأ بقولها: "وصبٌّ يجرجرُ لقتلى يوم بدر، فلا يستبطئُ في بغضِنا أهلِ البيتِ مَنْ كان نظرُه إلينا شَنَفاً، وإحناً، وأظغاناً، يُظْهرْ كُفْرَه برسولِ اللهِ... وهتفْتَ بأشياخِكَ، وتقربْتَ بدمِهِ إلى الكفرةِ من أسلافِكَ".

فالسّيدة زينب عليها السّلام تخاطب يزيد،وتذكّره بحقده على رسول الله وآل بيته الأطهار؛ولهذا السبب فإنّها غير مستغربة لأفعاله وجرائمه. فقد تحرّك الحقد المتأجج في صدر يزيد، ووَجَدَ في عُترة النبي محمد – صلّى الله عليه وسلّم – مغنماً للأخذ بثأر المقتولين في بدر، وهم المشركون الذين تمنّى يزيد حضورهم بقوله: ليْتَ أشياخِي ببدرٍ شهدُوا[١٥].

أمّا البنية النصية الصغرى، الثالثة: وهي التنبؤ بنهاية يزيد. وفيها تخاطب يزيد قائلة: "ثم صَرَخْتَ بندائِكَ ولعمري لقد نادَيتَهُم لو شهدوكَ ووشِيكاً تَشْهدُهم، ولنْ يَشْهَدوكَ، ولتودُ يمينكَ شُلّتْ بكَ عن مرفقِها... وأحببتَ أمكَ لم تحملْكَ، وإياكَ لم تلدْ، أو حينَ تَصيرُ إلى سَخطِ اللهِ، ومخاصمةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم". فالسّيدة زينب – عليها السّلام– تخاطب يزيد وتنبّهه إلى أنّ صراخك بأشياخِكَ الذين ستلحقهم سريعاً لن ينفعوكَ، ولتمنيت حينها لم تخلق حين تصير إلى سخطِ اللهِ، ومخاصمة رسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

فالملاحظ أنّ هذه الأبنية الصغرى مترابطة فهي تبدأ من عدم التعجب والاستغراب من أفعال يزيد بسبب حقده على بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ،وهذا الحقد والأفعال ستقوده سريعاً إلى سخط الله، ومخاصمة سيد الأنبياء. وهذه الأبنية الصغرى تكّون لنا البنية الكبرى التي ذكرناها آنفا.

٤. البنية النصية الرابعة: الدعاء على يزيد وتهديده.

فقد بدأت السّيدة زينب هذه البنية الكبرى ببنيتين صغريين الأولى تبدأ بالدعاء على يزيد قائلة: "اللّهم خُذْ بحقِّنا، وانتقمْ مِنْ ظالمنا واحْلُلْ غَضَبكَ على مَنْ سَفكَ دِماءَنا، ونَضضَ ذمارَنا وقَتلَ حُماتَنا وهَتكَ عَنّا سُدولَنا". فقد ارتبطت هذه البنية مع سابقتها ارتباطاً وثيقاً – فالمخاطب واحد – وتتنبأ السّيدة زينب – عليها السّلام– بنهاية يزيد، وما دليلها إلّا إيمانها الصّادق بأنّ الله سبحانه وتعالى سيأخذ بحقّها وحقّ أهلها،غير أنّ أدبها ودينها حملاها على الدعاء الموثوق الإجابة. ثم تأتي البنية الصغرى الثانية: وهي التهديد والوعيد ليزيد. وفيها تقول: "وفَعلْتَ فِعْلتكَ التي فَعلْتَ، وما فَريْتَ إلاّ جِلدَكَ، وما جَزرْتَ إلاّ لَحمَكَ، وسَتردُ على رسولِ الله بما تَحمّلْتَ من دمِ ذريتِه، وانتهكْتَ من حُرمتِهِ...فلا يستفزنّكَ الفَرحُ بِقتلِهِم،(وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ)[١٦]
وحسبك باللهِ وليّاً وحاكِماً، وبرسول اللهِ خَصْماً، وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلمُ مَنْ بوّأك ومكّنكَ من رقابِ المسلمينَ... أنْ تركتَ عيونَ المسلمينَ به عبرى، وصدورهم عند ذكره حرى " .

هذه البنية الصغرى هي تأكيد على استجابة دعاء السّيدة زينب فهي ترى مصير يزيد حاضراً أمامها لما ارتكبه من جرائم بحق العترة الطاهرة غير أنّها تنهاه عن الفرح بقتل هذه العترة، مستشهدة بالآية القرآنية السابقة، وهذه الآية جاءت بمثابة الرد الحاسم ليزيد ليتحول فرحه إلى حزن دائم، فالآية نزلت في شهداء أُحد وبدر[١٧]، والله سبحانه قد أبلغ مَنْ بقي مِنْ إخوانهم بأنّهم قد دخلوا الجنة، وأكلوا من ثمارها، ورزقوا فيها فلا تزهدوا في الجهاد، أو قد يقول مَنْ لم يستشهد من أولياء الشّهداء إذا إصابتهم نعمة: نحن في النّعمة والسّرور، وآباؤنا، وأبناؤنا، وإخواننا في القبور، وقد قُدِم صفة الظرف على صفة الجملة في قوله: (عِنْد اللهِ يُرْزَقُونَ)؛ لأنّ الأفصح هذا، وهو أنْ يقدم الظرف والمجرور على الجملة إذا كانا وصفين؛ لأنّ المعنى في الوصف بالزلفى عند الله، والقرب منه أشرف من الوصف بالرزق، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأنّ حياة الدنيا دائمة لهم[١٨].

٥. البنية الكبرى الخامسة: هي موازنة بين يزيد وأسلافه، وبين بيت النبوة الأطهار – عليهم السّلام– فهذه البنية الكبرى تتضمن بنيتين صغريين، الأولى: هي وصف يزيد وأسلافه بقولها: "فتلكَ قلوبُ قاسيةُ، ونفوسُ طاغيةٌ، وأجسامٌ محشوةٌ بسخطِ اللهِ، ولَعْنةِ الرّسولِ، قد عشّشَ فيها الشيطانُ وفرّخَ، ومن هناك مثلك ما درجَ، فالعجبُ كلّ العجبِ لقتلِ الأتقياءِ، وأسْباطِ الأنبياءِ، وسَليلِ الأوصِياءِ بأيدي الطّلقاءِ الخبيثةِ، ونَسْل العَهَرةِ الفَجَرةِ، تَنْظفُ أكفُّهم مِن دِمائِنا ،وتَتحلبُ أفواهُهم من لحومِنا".

والبنية الصغرى الثانية: هي وصف لشهداء معركة الطّف، وتبدأ بقولها: "تلكَ الجثثُ الزّاكيةُ على الجيوبِ الضّاحيةِ... يوم ينادي المنادي ألا لعنَ اللهُ الظّالمَ العاديَ".

فهذه موازنة غاية في الدقة ،والبلاغة، والترابط، والتماسك المعنوي فَمَنْ كان أصله من العهرة الفجرة يكون عمله كأصله، يتلطخ بدماء الأتقياء، ومَنْ كان أصله من النبوة، والكتاب يضحي بنفسه من أجل بقاء الدين، وبقاء الكتاب.

٦. البنية السّادسة: الحمد والدّعاء.

ختمت خطبتها بالحمد والدّعاء بقوله: "والحمدُ للهِ الذي حَكَمَ لأوليائِهِ بالسّعادةِ ونَسألُهُ حُسْنَ الخِلافةِ، وجَميلَ الإنابةِ، إنّه رَحِيمٌ ودودٌ". وكما قلنا ختمتها بالحمد كما بدأتها بالحمد أيضاً؛ لأنّ الحمد ما هو إلاّ تسليم لأمر الله ورضا بقضائه، لئلا يظنّ يزيد أنّ السّيدة زينب عليها السّلام معترضة على حكم الله بقتل أهل بيتها في معركة الطّف.

ا لبنية ا لدلا لية:

تضم البنية الدلالية عدداً من الموضوعات التي تساهم في تماسك النص، وترابطه لما تتسم به من وشائج، وعلاقات تعيننا في الاستدلال على بنية النص الداخلية، وبيان مضمونه، ممّا تؤدي إلى "الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم concepts والعلاقات relations الرابطة بين هذه المفاهيم"[١٩].

إنّ النص بوصفه نسيجاً لغوياً مترابط الأجزاء، متلاحم المعاني، يبنى أساساً على العلاقات الدلالية التي تحكم عُرى ألفاظه، وتشدّ سلاسل تراكيبه، فهي تكشف لنا الارتباط الوثيق بين اللفظ والمعنى، وتبيّن العلاقة بين أبنية الألفاظ في النص، بناء على التشابه، أو التقارب في المعنى، غير أنّ هذه العلاقات لا تبنى إلاّ من خلال السياق الذي يقوم بتحديد المعنى المقصود للكلمة، أو التركيب من بين الاحتمالات المتعددة التي ينصرف إليها الذهن. فضلا عن ذلك أنّ "العلاقات بين الجمل ذات طبيعة دلالية في الغالب ومن ثم يستند فيها إلى معنى الجمل والإحالة"[٢٠].

وسنتحدث عن بعض هذه العلاقات ومنها:

١. الإجمال و ا لتـ فصيل:

الإجمال لغة:

تعتمد دلالة مادة (جمل) على ما تُرَدُّ إليه من الأمور والأشياء، فالإجمال في الحساب يعني: جمع أعداده وردّه إلى الجملة[٢١]، والإجمال في الكلام: الإيجاز، يقال: أجمل فلانٌ الجواب. وفي الطلب: الاعتدال، وعدم الإفراط. وفي الشيء الجمع عن تفرقة، وفي الصنيعة التحسين والكثرة[٢٢].

وقد اختصر ابن فارس هذه المادة في دلالتين هما: التجمع والحسن، فقال: "الجيم والميم واللام، أصلان: أحدهما: تجمع وعظم الخلق، والآخر حُسْنٌ[٢٣]". وما يعنينا من هذه المادة هو الإجمال في الكلام، وهو الاختصار والإيجاز، وفي الغالب يكون الإيجاز محتملاً لأمور متعددة لذا عُرّف الإجمال اصطلاحاً: بأنّه "إيراد الكلام على وجه يحتمل أموراً متعددة"[٢٤]. أو هو: "ما لا يوقف على المراد منه إلاّ ببيان على جهة المتكلم"[٢٥].

ولا يخفى أنّ هناك رابطاً بين المعنى اللغوي والاصطلاحي وهو إنّ الكلام يكون موجزاً لا يُعرف مراده إلاّ بكلام يأتي بعده يكون تبياناً وتفصيلاً لما أُجْمل.

أمّا التفصيل لغة: فهو "بونٌ ما بين الشيئين"[٢٦].وقد زاد ابن فارس ذلك إيضاحاً بقوله:"الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة، تدلّ على تمييز الشيء من الشيء، وإبانته عنه"[٢٧].فالتفضيل إذاً هو إيضاح، وبيان بعد كلام مُجمل يحتمل معاني متعددة.

لذا جاء المعنى الاصطلاحي للتفصيل متّسقاً مع المعنى اللغوي فهو "تعيين بعض تلك المحتملات أو كلها"[٢٨]. ممّا يؤدي إلى إزالة اللبس، وسوء الفهم وتعدد احتمالات مراد الكلام عن ذهن المتلقي، وهذا يعني أنّ التفصيل هو "ما ظهر به مراد المتكلم للسامع من غير شبهة؛ لانقطاع احتمال غيره بوجود الدليل القطعي على المراد"[٢٩].

وقد وردت هذه العلاقة الدلالية في خطبة السّيدة زينب عليها السّلام في مواضع منها: قولها: "أ من العدلِ يا بن الطُلقاء تخديرك حرائرك، وإمائك، وسوقك بنات رسول الله سبايا". فجاء الإجمال في لفظة (سبايا) وذلك في سياق استفهام الإنكار المبتدأ بالهمزة التي تميزت عن سائر أدوات الاستفهام بأنّها تربط الجملة الداخلة عليها بالكلام السابق[٣٠]، غير أنّ هذا الإنكار فيه توبيخ على ما فعله يزيد ببنات رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)؛ لأنّ الأمر قد وقع فعلاً، فإنه يستلزم توبيخاً وتقريعاً، وهذا موجّه للمخاطب، ولا يخلو الاستفهام الإنكاري هنا من اختزان العاطفة المشحونة المستمدة من أواصر القربى – للشهداء - فإنّه يمثل تحذيراً، وردعاً، ومحاجّة للمخاطب، فضلاً عن ذلك أنّ هذا الاستفهام معروف لدى يزيد، فالسّيدة زينب لا تريد منه الإجابة وإنّما تريد أنْ تُبَصَّرَه وتعرّفه ضلالته. وهي تريد من ذلك أنْ تحقق غرضاً إبلاغياً لأمر متحقق بالفعل وهو "سَوْقُ بناتِ رسولِ اللهِ سبايا". فالسّبي: هو المأسور، وهو وصف بالمصدر، يقال: قوم سبيٌّ، وسُميّت النساء سبايا؛ لأنّهنّ يُسْبَيْنَ[٣١]، ولا شكّ أنّ السّبي هنا هو لفظ مُجْمل يحتمل أوجها متعددة، فقامت السّيدة زينب عليها السّلام بتفصيل ذلك بقولها: "قد هَتكْتَ ستورهُنّ، وأبْديْتَ وجوهَهُنَّ، تحدوا بهنَّ الأعداءَ من بَلدٍ إلى بَلدٍ، وتستشرفُهُنَّ المناقلُ، ويتبرزنَ لأهلِ المناهلِ، ويتصفّحُ وجوهَهُنّ القَريبُ والبَعيدُ، والغائِبُ والشّهيدُ، والشّريفُ والوضِيعُ، والدنِيءُ والرّفِيعُ، ليس مَعهنّ مِنْ رجالهنّ وليٌّ، ولا مِنْ حُماتهنَّ حَميٌّ". فالعلاقة الدلالية بين المجمل (سبايا)، والمفصّل الذي تقدم ذكره، قد ربطت بين جوانب النص وحملت

المخاطب على الانتباه، وشدّ الذهن لما يأتي بعد لفظة (سبايا) ممّا يشحذ العواطف،ويحرك المشاعر لاسيما أنّ هؤلاء السبايا هُنّ بنات رسول، الله فجاء التفصيل بهذا الإسهاب لكي تكشف السّيدة زينب – عليها السّلام– المعاني التي تترتب على هذا السبي.

ومن الإجمال والتفصيل أيضاً في الخطبة ما جاء في قولها: "أشدّ العرب جحوداً وأنكرهم له رسولاً، وأظهرهم له عدواناً، وأعتاهم على الرّب كُفراً وطغياناً" فقد جاء الإجمال في أسلوب التفضيل على صيغة (أَفْعَلَ)، والتفصيل بالتمييز المنصوب. فقولها: أشدُّ العربِ، وأنكرُهُم، وأظهرُهُم، وأعتاهُم، إنمّا تشير بذلك إلى جدّ يزيد أبي سفيان، فقد أجملت صفاته ثم فصّلتها، وكأنّها تريد أنْ تقول: إنّه فاق العرب في شدة الجحود والإنكار لرسول الله، وإظهار العداوة له، وأعتاهم للربّ من حيث الكفر والطغيان، وفي إضافة الوصف للمعرفة مبالغة في إيراد الصفات[٣٢]. فقولها: "أشدُّ العربِ جُحوداً"، تريد بذلك وصفه بالشّدّة في العدوان على جميع العرب، وكذلك في الإنكار للرسول وإظهار العدوان له والعتو على رب العالمين في الكفر والطغيان، فجاءت بالتمييز بعد (أفعل) التفضيل بياناً، وإزالة لإبهام ما تقدمه؛ لأنّ وظيفة التمييز تخليص شيء من شيء، وتفريق بين مشتبهين[٣٣]، وعلاقته إحدى "علاقات الارتباط بين المعاني على سبيل البيان، وإزالة الإبهام"[٣٤].

فحينما نقول: أشدّ العرب، تتراكم الاحتمالات في ذهن المتلقي كأنّ تكون قوة، أو شجاعة أو غيرها، لكنّها حينما قالت: جحوداً أزالت هذه الاحتمالات وبيّنت المراد، وكذلك أنكرهم له تتبادر إلى ذهن المتلقي أمور متعددة، لكنها حينما قالت: رسولاً وضّحَتْ وفصّلَتْ، وكذلك في: أظهرهم، وأعتاهم. إذْ جاء التمييز في هذه العبارات متمماً للاسم؛ لأنّه يفسّر غموضاً في احتمالات دلالته المتعددة[٣٥]، وتكرار التمييز في هذه العبارات ساعد على تماسك النص وترابطه، فضلاً عن إيضاحه وبيانه وهذا ما يؤكد اتّساقه مع الموضوع الكلي للخطبة، وهو إظهار كُفر يزيد، وتأثّره بأسلافه الكافرين الجاحدين لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم.

٢. العموم والخصوص:

العموم لغة واصطلاحاً:

تدلّ مادة (عمّ) على بلوغ المواضع كلّها، يقال: "عمّ الشيء بالناس يعمُّ عمّاً فهو عام إذا بلغ المواضع كلها"[٣٦]. وبلوغ المواضع يعني شمولها، يقال: عَمَّ الشيء يعمُّ عموماً، شمل الجماعة، ويقال أيضاً: عمَّهم بالعطية، والعامّة خلاف الخاصّة، سُميت بذلك؛ لأنّها تعمُّ البشر[٣٧].

أمّا في الاصطلاح: فالعام "كون اللفظ موضوعاً بالوضع الواحد الكثير غير محصور مستغرق جميع ما يصلح له"[٣٨].

وعلى هذا تلتقي الدلالة الاصطلاحية مع اللغوية في دلالة العموم على الشمول وعدم الاقتصار على مفرد.

ويمكن بيان عدد من الألفاظ والتراكيب الدالة على العموم في خطبة السّيدة زينب – عليها السّلام– ومنها: لفظة (كلّ) في قولها: "فالعجبُ كلّ العجبِ لقتلِ الأتقياءِ،وأسْباط الأنبياءِ،وسَليلِ الأوصِياءِ بأيدي الطّلقاءِ الخبيثةِ ونَسْلِ العَهرةِ الفَجرةِ".

فالعجب "هو تحيّر الذهن من أجل خروج الشيء عن نظائره، وخفاء سببه"[٣٩] وما ذكرته السّيدة زينب – عليها السّلام– يستدعي فعلاً العجب، فقد تلطخت أيدي الطّلقاء الخبيثة بالدّماء الزّكية الطاهرة، فاستعملت السّيدة زينب – عليها السّلام– المصدر في بداية قولها ثم أضافت (كلّ) إلى المصدر (العجب)، للدلالة على معنى التمام[٤٠]، أي: عجباً تاماً غير منقوص يحيّر العقول، ويستلزم الذهول، وذلك للمبالغة في وصف واستعظام ما ذكرته، فضلاً عن دلالة الكلية التي لا يفيدها المصدر وحده، فأتت بـ (كلّ) للدلالة على كلية العجب وتمامه[٤١]. وبذلك ارتبطت أجزاء النص من خلال هذه اللفظة الدالة على العموم؛ فكل العجب واقع على الأفعال المتأتية بعده، فربطتها فيما بينها. ومن الأساليب الدالة على العموم أسلوب الشرط، فهو مبني على الإيهام والشيوع، وعدم الخصوص[٤٢]، وقد تعددت أنماطه وتنوعت، فقد يأتي مكانَ حرف الشرط، اسمٌ يكتسب معنى الشرط، أو يتضمن معناه، ويقوم بوظيفته التي يؤديها، فمن ذلك قول السّيدة زينب – عليها السّلام- "فلا يستبطئ في بغضنا أهل البيت مَنْ كان نظره ألينا شنفاً وإحناً وأظغاناً يظهر كفره برسول الله، ويفصح ذلك بلسانه...". فاستعملت السّيدة زينب – عليها السّلام– (مَنْ) للدلالة على جميع العقلاء وآحادهم[٤٣]، لتكون بذلك قاعدة عامة تشمل جميع مَن أبغض أهل البيت، فلا يستبطئ في بغضهم مَنْ كانت نظرته نظرة حقد وبغض، وقدمت الجواب على الشرط لأهميته عندها، فنفي الاستبطاء يراد به الإسراع المشحون بالكره فجاءت بالفاء الرابطة دلالة على أنّ الجواب متحقق، لتحقق الشرط وهو الحقد والبغض مَنْ كانت سجيته كما ذكرت، ولو لم تأتِ بالفاء كان نصاً على توكيد عدم الاستبطاء، وهو يتعارض مع ما يدلّ عليه الجواب في الجملة الشرطية "وليس في عبارة الشرط على تحققها، أو عدم تحققها، وكل ما يدلّ عليه هو إنّه يجوز أنْ يقع ويجوز ألاّ يقع"[٤٤] أضف إلى ذلك أنّ العلاقة القائمة بين أجزاء الجملة الشرطية قائمة على معنى الاستلزام[٤٥]. ونستشف ممّا تقدم أنّ كلام السّيدة زينب – عليها السّلام– يرتبط بالموضوع الكلي، وهو إنّ حقد يزيد وكلّ مَنْ سار على خطاه في كره آل البيت هو بُعْدٌ عن الدين، والرسالة المحمدية السّمحاء.

ومن التراكيب بالدالة على العموم: الفكرة في سياق النفي وشبهه[٤٦]، وهذا ما جاء في قول السّيدة زينب – عليها السّلام– "ليس مَعَهُنّ مِنْ رجالهنَّ وليٌّ ولا مِن حماتهنَّ حميٌّ" فدخول (ليس) على الظرف (مَعَ) أفاد نفي الاصطحاب[٤٧] غير أنّ هذا النفي جاء مستغرقاً لجنس الرجال المقيد بالولاية؛ لأنّ دخول (مِنْ) على التركيب أفاد الاستغراق والتوكيد[٤٨]، وهذا العموم غير مقتصر على الولاية فحسب، بل تعداه أيضاً إلى الحمي الذي يذود عن حماهنّ، وهذا الكلام مرتبط بما تقدمه من الكلام الموجه إلى يزيد الذي سفك دماء رجالهنّ وحماتهن، فجاءت بهذا الكلام للتأثير في المتلقي، وبيان جانب من جوانب سلوكه العدواني الذي ينافي أخلاق العرب، ويبتعد عن روح الإسلام التي تحفظ لنساء المسلمين كرامتهن.

ا لخصوص:

ا لخصوص لغة واصطلاحا:

الخصوص لغة: يُقال خصصت الشيء خصوصاً، واختصصته، والخاصة الذي اختصصته لنفسك، وقولهم: إنّما يفعل هذا خُصان من الناس أي: خواص منهم، واختصه بكذا، أي: خصّه به، والخاصّة: خلاف العامة[٤٩]. فالملاحظ على المعنى اللغوي لمادة (خَصَّ) أنّها تدلّ على تفرد الإنسان بالشيء لنفسه، وعدم مشاركته فيه لأحد، وهذا هو المعنى المراد لدلالة الاصطلاح أيضاً فـ "الخاص هو كلُّ لفظٍ وضع لمعنى معلوم على الانفراد"[٥٠].

نستشفّ من الدلالة الاصطلاحية لمعنى الخصوص أنّ اللفظ كي يكون خاصاً لابد أنْ يكون لمعنى معلوم لدى المخاطب؛ لأنّ المخاطب هو مناط العملية التخاطبية، فالتخصيص مرتبط بالمخاطب، وغاية المتكلم هي إفهامه بالوسائل التي تعينه على إدراك ماهية الكلام، فيستعين بكل ما لديه من معطيات ليصوغ عباراته بوضوح لا يكتنفها غموض، ممّا يؤدي إلى إيصال رسالته إلى المخاطب وإبلاغه بالمراد[٥١].

ومن ألفاظ الخصوص التي وردت في خطبة السّيدة زينب – عليها السّلام–

١. الاسم العلم: وهو الاسم الذي أطلق عليه سيبويه "العلامة اللازمة المختصة"[٥٢] وسمّاه المبرّد (الاسم الخاص)[٥٣]، وإنّما كان كذلك؛ لأنّه افترق عن سائر المعارف كونه معرفة بنفسه؛ وذلك لأنّه إذا وضع على المسمّى لم يحتج معه إلى غيره.

وقد خاطبت السّيدة زينب – عليها السّلام– يزيد باسمه العلم في قولها: "أَظننْتَ يا يزيدُ حينَ أخَذْتَ علينا أقْطارَ الأَرضِ، وضَيّقتَ علينا آفاقَ السَّماءِ..." فاختصت يزيد باسمه من دون ذكر لقبه لما تميّز به عن غيره من أفعال، وصفات تحيط بهذا الاسم؛ وذلك لإبلاغ الناس أنّ صاحب هذا الاسم هو مَنْ قام بأفعال شنيعة بحق آل بيت النبوة - عليهم السّلام– تبعُدُ صاحب هذا الاسم عن خطى الإسلام، وعن الخلافة التي كان يحكم بها باسم الإسلام. وذلك، لأنّ "الأسماء الأعلام تشير إلى معاني يفهمها

المخاطب ويتميز بها صاحب ذلك الاسم من سواه ممن يشابهونه في جنسه إذْ يحمل خصائص يعهدها المخاطب تتعلق بشخصية ذلك المسمّى أو بأمر سمعه أو عرفه عنه، تميّز به عن غيره"[٥٤].

وهذا ما تنبّه إليه النحويون، فقال المبرد: "إذا قلت: زيدٌ فقد فصلت بهذا الاسم الرجل مِمّنْ هو مثله"[٥٥].

ثم خاطبت السّيدة زينب – عليها السّلام– يزيد في موضع آخر من الخطبة بكنية أطلقتها عليه، وهي (ابن الطّلقاء) في قولها: "أَمِن العَدلِ يا ابنَ الطّلقاء..." فأرادت بهذه الكنية عدم تكرار اسمه بسبب ما تقدّم فضلاً عن ذمّه بها؛ لأنّ الكنية تأتي أحياناً فتفيد الذم[٥٦]، والسّياق هنا يؤكد هذا؛ لأنّ ما قام به أفعال يتناسب مع هذه الكنية التي فيها إحالة إلى خارج النص، وتشير بها إلى ما فعله جدّها الرسول محمد – صلّى الله عليه وسلّم – مع أجداده في فتح مكة، فأرادت أنْ تربط بين ما فعله جدّها – عليه الصلاة والسّلام– وما فعله هو وأجداده.

٢. التخصيص بمقيدات الفعل:

الوظائف النحوية المكملة لركني الجملة الإسنادية يطلق عليها النحويون بـ (الفضلات)، وتعدّ هذه الفضلات هي الوظائف النحوية التي تقوم بتقييد الفعل في الجملة، كالمفعولات والحال والاستثناء والتمييز،وهي تشترك جميعاً في معنى واحد، وهو تخصيص الحدث[٥٧]؛ لأنّها تعد قيداً على علاقة الإسناد في الجملة، فهي يُعبر كلٌ منها على جهة خاصة في معنى الحدث الذي يشير إليه الفعل، أو الصفة[٥٨]. فالمفعولات تخصص الحدث بحسب الوظيفة التي تؤديها، ومنها: المفعول به، فهو "الاسم الذي يقتضيه الفعل بعد الفاعل من حيث هو خاص لا من حيث هو فعل، مثال ذلك قولك: ضَرَبَ زيدٌ عمراً، فعمرو مفعول به؛ لأنّ (ضَرَبَ) تقتضي بعد الفاعل مضروباً"[٥٩]، وتعدي الفعل هنا خصص التباس الضرب بزيد ووقوعه على عمرو فضلاً عن أنّ معتمد الفائدة في التركيب هو المفعول به. ومن أمثلة المفعول به ما ورد في خطبة السّيدة زينب – عليها السّلام– قولها: "أظننْتَ يا يزيدُ حين أخذْتَ علينا أقطارَ الأرضِ، وضَيّقتَ علينا آفاقَ السَّماءِ..". فالسّيدة زينب – عليها السّلام– أرادت لفت انتباه المخاطب إلى تخصيص فعل يزيد في الأخذ وهو (أقطارَ الأرضِ) أي: تطويقهم من جهات الأرض الأربع، وكذلك تخصيص فعل التضييف بـ (آفاق السّماء). أي: وضعهم في الحبس، والتضييق عليهم، ومحاصرتهم بجنود، وسدّ النواحي عليهم، فإسناد الفعل (أَخَذَ) مختص بوقوعه على (أقطارَ الأرضِ)؛ لأنّ أَخْذَ الأسير يكون بإحاطته من جميع الجهات، على حين أسندت الفعل (ضَيّق) بوقوعه على (آفاقَ السّماءِ) لتعبر عن حالة الضيق، وكأنّهم أطبقوا عليهم السّماء والأرض من شدة الحبس والمنع.

وتستمر السّيدة زينب – عليها السّلام– بذكر الأفعال التي أوقعت على أحداث قام بها يزيد نحو قولها: "قد هتكتَ ستورهنَّ، وأبديتَ وجوههنَّ، تحدوا بهن الأعداءَ..." فقد خصصت التباس الأفعال (هَتكَ، أبدى، حدى) بيزيد ووقوعها على الستر والوجوه والأعداء، قال عبد القاهر الجرجاني: "إذا عدّيت الفعل إلى المفعول فقلت: ضَربَ زيدٌ عمراً، كان غرضك أنْ تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني، ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفعلُ والمفعولُ في أنّ عمل الفعل فيها إنّما كان من أجل أنْ يعلم الناس التباس المعنى الذي اشتق منه بهما، فعمل الرفع في الفاعل؛ ليُعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه، والنصب في المفعول، ليُعلم التباسه من جهة وقوعه عليه"[٦٠].

وقد تلجأ السّيدة زينب - عليها السّلام– إلى استعمال الأفعال المنفية الواقعة على أحداث يظن المخاطب (يزيد) أنّه يستطيع القيام بها دفعاً لما يتردد في ذهنه أنّه قادر عليها فتقول: "فواللهِ الذي شرّفنا بالوحي والكِتابِ، والنبوةِ والانتخابِ، لا تدركُ أمَدَنا، ولا تبلغُ غايتَنا، ولا تَمحُو ذِكرَنا، ولا يَرخصُ عَنكَ عارَنا".

فالسّيدة زينب – عليها السّلام– تنكر على يزيد تحقيق أفعاله التي يصبو إليها، فأرسلت خطابها على وفق ما ساورت ذهنه من أحاسيس وأفكار بتحقيق مبتغاه، فاستعمالها النفي لأنّه "أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقاً لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأً ممّا اقتضاه أنْ يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي"[٦١]، فأرادت نفي تخصيص التباس الإبلاغ ووقوعه على إدراك الأمد والغاية وهكذا نفي بقية الأفعال، وكأنّ السّيدة زينب – عليها السّلام– بقولها هذا تقرأ المستقبل وتستشعر به، وذلك لمكانتها المرموقة في الأسرة الهاشمية، التي لا تدانيها سيدة أخرى في موقفها في مواجهة الظلم، فـ (أهلية المرسِل هي المحك الحقيقي لانجاز بعض الأفعال اللغوية التي لا يمكن أنْ ينجزها الإنسان دون توفر بعض الشروط فيه...،ودون أنْ يتبوأ هذا الموقع...لا يمكن أنْ يصبح خطابه نافذا"[٦٢].ومن المفعولات التي وردت في خطبة السّيدة زينب – عليها السّلام– المفعول المطلق، وسُميّ بذلك لأنّه ليس مقيداً، لكونه مفعولاً حقيقياً غير مقيد بشيء كما في المفعولات الأخرى[٦٣].

غير أنّ الإطلاق فيه ليس تاماً؛ لأنّ "المفعول المطلق يؤكد فعله، أو يبين نوعه، أو عدده، وهذا تقييد وتخصيص للحدث، فالقيد للمصدر قيد للفعل[٦٤]. تقول السّيدة زينب – عليها السّلام– "أظننْتَ يا يزيدُ حين أخذْتَ علينا أقطارَ الأرضِ، وضيّقْتَ علينا آفاقَ السّماءِ، فأصبحنا لك في أسارٍ، نُساقُ إليك سَوْقاً في قِطارٍ..." فأرادت أنْ تؤكد حدث السّوْق بالمفعول المطلق (سَوْقاً) وتثبته في ذهن المخاطب، وتقويه في نفسه، فكأنّما أرادت إعادة الحدث مرتين بما يشبه التوكيد اللفظي، من دون زيادة في المعنى؛ لأنّ "المراد بالتأكيد: المصدر الذي هو مضمونه الفعل بلا زيادة شيء عليه، من وصف، أو عدد، وهو في الحقيقة تأكيد لذلك المصدر المضمون"[٦٥]. ومن ذلك

أيضاً قولها: "فإلى الله المشتكى والمعوّلُ، واليه الملجأُ والمؤمّلُ، ثم كِدْ كَيدَكَ، واجهد جهدَكَ".

فالسّياق هنا فيه تسليم لله وشكوى إليه، وهذا نابع من نفس مؤمنة بالله، وإيماناً بقدرته على نصر المؤمنين، ومن لجأ إليه فلا يُخذل فاستدعى السّياق زيادة في التوكيد؛ لما قد يعترض المخاطب من شكٍّ في هذا الأمر، فأرادت توكيد الحدث الكامن في الفعل من دون الزمن،فاستعملت المصدر؛لأنّه دالّ على الحدث فحسب[٦٦]، وبقولها هذا أزالت الوهم الذي قد يعتري المتلقي بأنّ الفاعل (يزيد) لم يفعل ذلك. يقول الدكتور فاضل السامرائي: "أمّا قولنا: تحدّثَ محمدٌ تحدّثاً، فلإزالة الوهم من أنّ الفاعل لم يفعل ذلك"[٦٧].

وقد تأتي السّيدة زينب – عليها السّلام– بمصدر حُذف فعله في قولها: "وحينَ صَفا لكَ ملكُنا، وخلُصَ لكَ سلطانُنا، فمَهْلاً مَهْلاً لا تَطشْ جَهْلاً أنسيتَ قولَ الله عزّ وجلّ : {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}.آل عمران ١٧٨

فقولها: (مَهْلاً) مصدر دالّ على الأمر، ومعناه "التؤدة والسكون، يقال مَهَلَ في فعله وعمل في مهله، ويقال: مَهْلاً، نحو رِفْقاً، وقد مهلته إذا قلت له: مَهْلاً"[٦٨].

غير أنّ الأمر هنا أشرب فيه معنى الزجر، والردع لما يتضمنه السياق معنى الكف عن الجهل، والتذكير بقول الله تعالى، ويبدو أَنّ سبب استعمال المصدر من دون الفعل؛ لأنّه أقوى، وأثبت من الفعل في الدلالة على الأمر؛ لأنّ المصدر هو الحدث المجرد، والأمر به يكون آكدَ من الفعل، وإنّما حُذف الفعل، وجِيء بالمصدر هنا؛ لقصد الدوام واللّزوم[٦٩].

٣. ا لتقابل:

ا لتقابل لغة:

تدلّ مادة (قبل) على الإقبال على الشيء، فالقُبل من إقبالك على الشيء، تقول: قد أقبلت قُبلك، كأنّك لا تريد غيره، ويأتي أيضاً بمعنى: التلقاء، تقول: لقيتُ قبلاً، أي: مواجهة[٧٠].

وقد جعل ابن فارس (القاف والباء واللام) أصلاً واحداً صحيحاً يدلّ على مواجهة الشيء للشيء،ويفهم من هذا أنّ المقابلة تعني أنْ يكون كل شيء مواجهاً للآخر،ولا يكونان على جهة واحدة[٧١]،أي: إنّ كل شخص في جهة مخالفة لجهة الشخص الآخر.

أمّا المعنى الاصطلاحي: فيبدو أنّه قريب من المعنى اللغوي. قال الشّريف الجرجاني: "المتقابلان هما اللذان لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة"(٧٢). غير أنّ المعجم العالمي الموسوعي كان أكثر إيضاحاً لمعنى التقابل فجاء فيه "وجود كلمتين تحمل إحداهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى"(٧٣).

وهذا ما ذهب إليه بالمر بأنّ التقابل: هو التضاد في المعنى(٧٤). ويفهم من كلام الدكتور أحمد مختار عمر في معرض حديثه عن الأضداد، على ضرورة فهم معناها ليس بما "يعنيه علماء اللغة المحدثون من وجود لفظين يختلفان نطقاً ويتضادان معنى، كالقصير في مقابل الطويل، والجميل في مقابل القبيح، وإنّما نعني بها مفهومهما القديم وهو اللفظ المستعمل في معنيين متضادين"(٧٥).

ويبدو أنّ مصطلح التقابل هو مصطلح عام يدخل تحته كل لفظتين مختلفتين في اللفظ والمعنى، كالطّباق، والمقابلة، والمخالفة..

وكان التقابل ركيزة أساسية في حبك الخطبة، واتّساقها مع المعنى العام لها، إذْ كوّنت السّيدة زينب – عليها السّلام– عن طريق استعمالها لهذه الظاهرة مجموعة من العلاقات الدلالية التي تربط بينها أواصر مختلفة، وذلك في قولها: "قد هتكْتَ ستورَ هُنَّ، وأبْديْتَ وجوهَهُنَّ، تَحْدوا بِهُنَّ الأَعداءَ من بلدٍ إلى بلدٍ، وتستشرفُهُنَّ المناقلُ، ويتبرزْنَ لأهلِ المناهلِ، ويَتَصفَحُ وجوهَهُنَّ القَريبُ والبَعيدُ، الغائِبُ والشّهيدُ، الشّريفُ والوَضيعُ، والدَّنيءُ والرَّفيعُ". فجاءت بالفعل (يتصفحُ) من دون (ينظرُ) أو (يرى) لما فيه من دقة في التعبير، إذْ يقال: "تصفح الشيء، تأمله، ونظر في صفحاته، وتصفح القوم، نظر في أحوالهم، أو نظر في خلالهم هل يرى فلاناً"(٧٦). ثم قدَمَتْ المفعول به (وجوهَهُنَّ) على الفاعل تمهيداً إلى تقسيم الفاعلين إلى ألفاظ متضادة لتقابل فيما بينها، فقد "تتعاضد مع التقسيم الدلالي (المقابلة) وذلك حين تتقابل أجزاء التقسيم"(٧٧). فالتقسيم الأول: القرَيبُ والبَعيدُ، فـ "القُرب ضد البُعد، والاقتراب الدنو، والتقرب: التدني، والتواصل"(٧٨)، فجمعت بين القريب،والبعيد وهي تمثل آصرة مسافة، وذلك تعريفاً ليزيد؛ لأنّه عرّض بنات رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – للقريب والبعيد، من عامّة الناس لتأمل وجوههنّ والنظر إليهن، وكأنّهن صفحات كتاب. ثم انتقلت إلى الغائب والشّهيد، وعند بيان أصول مادة كل منهما يتبين لنا علاقة التقابل بينهما، فـ "الغين والياء والباء، أصل صحيح يدلّ على تستر الشيء عن العيون"(٧٩). أمّا "الشين والهاء والدال أصل يدلّ على حضور وعلم وإعلام"(٨٠). والمعنى المحوري لمادة (شهد) هو وجود شيء ذي قيمة في الحيّز بتمكن... والوجود في الحيّز حضور فيه يلزمه معاينة ما يجري فيه، والشّاهِد والشّهيد، الحاضر(٨١)، غير الشّهيد فيه دلالة على المبالغة في فعل الشيء وتكرار حتى يصبح كأنّه خلقة في صاحبه وطبيعة فيه(٨٢)، وهذا ما رمت إليه السّيدة زينب - عليها السّلام- حيث كان الناس يتحملقون حولهم بغرابةٍ. فالتقابل بين الغائب والشهيد، يمثل علاقة دلالية، تجمعهما آصرة

وجودية، وهذا يتّسق مع آصرة المسافة وهي: القريب والبعيد. فالقريب يكون شهيداً، والبعيد يكون غائباً، فضلاً عن العلاقة المعنوية الرابطة بين هاتين العلاقتين، يجمعهما رابط صوتي هو صوت (الباء والدال)، يؤثر في نفوس السامعين ويخلب ألبابهم، بعد محاججة عقولهم بالمعاني التي ذُكرت. ثم أردفت بعد ذلك بذكر (الشَّريف والوَضِيع) وبالنظر إلى معناهما يتبيّن أنّ (الشَّريف) هو ضد (الوَضِيع). فـ "الشين والراء والفاء أصل يدلّ على علو وارتفاع، فالشّرف: العلو، والشريف الرمل العالي، ورجل شريف من قوم أشراف"[٨٣]. على حين أنّ معنى (الواو والضاد والعين: أصل واحد يدلّ على الخفض للشيء وحطّه). إذْ يقال: رجل وضيع يوضع فهو وضيع ضد الشّريف ووضع منه فلان، أي: حطّ من درجته، والوضيع: الدنيء من الناس يقال في حسبه ضِعة وضَعة. وعلى هذا تكون العلاقة الدلالية بينهما تمثل آصرة اجتماعية. وأتبعت ذلك بقولها: "الدنيءُ والرفِيعُ) فالدنيء: هو الحقير القريب من اللؤم[٨٤]. والرفيع: هو رفيع الحسب والقدر، وله رفعة في المنزلة[٨٥]. فهما معنيان متضادان تربطهما علاقة دلالية ذات آصرة اجتماعية، فالسّيدة زينب – عليها السّلام– قابلت بين الشريف والوضيع، والدنيء والرفيع لما بينهما من تقارب دلالي، فالشّريف يكون عالي المنزلة والقدر، والوضيع يكون دنياً حقيراً مذموماً. فضلاً عن انسجامها الصوتي الذي يؤثر في الأسماع ويشدّ الانتباه، ويهيمن على النفس والوجدان، وكأنّها تريد تبكيت المخاطب (يزيد)، والتأكيد للمخاطبين على أنّ (يزيد) بعيد عن الدِّين، فضلاً عن الإنسانية، لما فعله ببنات رسول الله بعدما أصبحْنَ سبايا يتهافت على رؤيتهنّ كلُّ مَنْ هبّ ودبّ.

وكذلك قابلت بين (الأرض والسماء) وهي علاقة دلالية تمثل آصرة كونية فقولها: "أَخَذْتَ علينا أقْطارَ" أرادت المعنى المجازي للأخذ، وهو الاستيلاء والقهر[٨٦]، غير أنّ هذا الاستيلاء كأنّه شمل الأرض بأكملها، ثم قابلت به "ضَيّقْتَ علينا آفاقَ السّماءِ" فأرادتْ أنّ السّماء مع وسعها شعرت بها ضيقة. فالضيق ضد السّعة، ويستعمل في الفقر، والبخل، والغم، والحزن؛ لذا استعمل القرآن { ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ}، وقوله تعالى: {ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ}، وهذا مثل في شدة الخناق وسد طرق الفرج[٨٧]، وبهذه العلاقة التقابلية استطاعت أن تعبر عن مدى الضيق والأحزان التي كانت تكابدها بسبب أفعال يزيد الطائشة "كما أنّ التقابل قد يتجاوز امتداده على جملة أو أكثر"[٨٨] كما في قول السّيدة: "إنّ بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناناً وأن ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك" فقابلت السّيدة زينب – عليها السّلام– جملة "إن بنا من الله هواناً" بجملة "عليك منه كرامة وامتناناً" وكذلك قولها: "إنّ ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك" فجعلت (الهوان) المزعوم – من قبل يزيد – بحق آل البيت عليهم السلام، يقابل الكرامة والامتنان، وعظم الخطر، وجلالة القدر بحق عدوهم (يزيد). وهذه المقابلة الهدف منها نفي ما تقدم، وليس إثباتها، وهذا يتّسق مع الغاية، والبنية

العليا للنص كما ذكرنا في بداية البحث، والدليل على مصداق ذلك قولها قبل هذا التقابل: "أَظَنَنْتَ يا يزيدُ" وهذا استفهام خرج إلى دلالة الإنكار والتوبيخ. واللافت للنظر أنّها جاءت بلفظة (الهوان) وقابلتها بـ (كرامة وامتنان، وعظم الخطر، وجلالة القدر). وكأنّها تشير إلى ظن يزيد أنه يتصف بهذه الصفات كونه الحاكم والمنتصر في الحرب. وعند العودة إلى بيان معاني الألفاظ المتقابلة نجد أنّ (الهوان) هو: المهانة، أي: الذل والضعف[٨٩]. والكرامة تقابل الذل، وهي مأخوذة من التكريم والإكرام[٩٠] الذي هو ضد الذلّ، والضّعف، وكذلك (الامتنان) الذي يعني: إنعام من الله[٩١]، مع (عظم الخطر) الذي يدلّ على ارتفاع المنزلة والمكانة والشّرف، وامتلاك المال[٩٢]. فجاءت الفقرات قصيرة ومتساوية في الطول، فكل فقرة تتشكل من كلمتين، وقد أدّى حرف العطف وظيفة بارزة في ربط كلّ فقرة مع الأخرى، وانسجامها معاً، فحققت بذلك التقابل صفة النصية التي تعني ربط أجزاء النص بعضها ببعض.

ا لبنية ا لمعجمية:

البنية المعجمية هي إحدى البنى الأساسية التي لها أثر مهم في بناء النص وتماسكه، وترابط أجزائه، لاسيما إذا تحدثنا عن التكرار الذي يعدّ شكلاً من أشكال الاتساق المعجمي، إذْ يقوم "بوصفه ظاهرة بيانية بوظيفة في مستوى البنية السطحية المحيلة على الانسجام الكلي للنصوص"[٩٣]

التكرار: التكرار لغة: هو الرجوع[٩٤]، فـ "الكاف والراء أصل صحيح يكل على جمع وترديد، من ذلك كَرّرت الشيء، وذلك رجُوعك إليه بعد المَرّة الأولى"[٩٥]. وعليه فهو يدلّ على معاودة الشيء مرة بعد أخرى لتحصيله[٩٦]، أي: "تحقيقه، وتثبيته".

ا لتكرار اصطلاحا:

لا يبتعد المعنى الاصطلاحي عن اللغوي فهو "عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى"[٩٧]. فالتكرار سمة عامة من سمات الكلام فلا يكاد يخلو نص منه لأهميته في ثبوت الحقائق وتقريرها في النفس، وهذا ما جعل السّيدة زينب – عليها السّلام– تتخذ منه أداة مؤثرة في التلقي، فضلاً عن أهمية التكرار في تماسك الخطبة وترابطها، وقد اتخذ أشكالاً متنوعة نذكر منها:

١. التكرار الصوتي.

ثمة وسائل شتى للتأثير في نفس المتلقي وإقناعه واستمالة وجدانه، أهمها: التكرار الصوتي الذي يعد مظهراً واضحاً من مظاهر البلاغة، فهو يملك ناحيتين: لفظية ومعنوية، فالجانب اللفظي يحدث نغماً موسيقياً؛ لتوازي الفقرات من جهة الأصوات، على حين يرتبط الجانب المعنوي بمقتضى الحال فضلاً عن أنّ "التكرار بشتى أنواعه يحدث نوعاً خاصاً من الإيقاع تستلزمه العبارة لأغراض فنية ونفسية واجتماعية ودينية"[٩٨].

ومن مظاهر التكرار الصوتي هو فن الجناس الذي لا يعطي فضيلة – كما ذهب عبد القاهر – إلاّ بنصرة المعنى، إذْ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن، وكي يكون مقبولاً لابد أنْ يكون المعنى هو الذي يطلبه، ويستدعيه، وعلى هذا كان أحلى تجنيس، وأحقّه بالحسن ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه، أو ما هو لحسن ملاءمته[٩٩]. وهذا ما نجده واضحاً في قول السّيدة زينب – عليها السّلام– "تضربُ أصْدَريكَ فرحاً وتنقضُ مذرويكَ مَرحاً، حين رأيتَ الدنيا مستوسقة، والأمور لديكَ متسقة، وحين صفا لك ملكَنا، وخَلُصَ لك سلطانَنا، فَمَهَلاً مَهَلاً لا تَطشْ جهلاً" فقد غلب على هذا النص التجنيس غير التّام، وهو محسن لفظي أحدث أثراً جمالياً للنص نابعاً من تكرار الألفاظ على نسق تعبيري يتخذ من تكراراها أساساً لإحداث إيقاع موسيقي خلاب. وهذا ما نجده في قولها: (فَرَحاً، ومَرَحاً) فمجيء اللفظتين متتابعتين أحدث تشاكلاً في اللفظ وتقارباً في المعنى، فالتناغم الصوتي يتمثل في تكرار الراء والحاء والألف، والاختلاف في الصوت الأول أضفى دلالة مضافة لا تحصل لو تكررت اللفظة نفسها؛ لأنّ الفرح هو "انشراح الصدر بلذّة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللذّات البدنية"[١٠٠] وهو يحمل معنى: البطر أيضاً[١٠١].

أمّا المرح: فهو "شدة الفرح والتوسّع فيه"[١٠٢]، مع النشاط[١٠٣]. فاستطاعت السّيدة زينب – عليها السّلام– بهذا الجناس أنْ تكشف للمتلقي حقيقة يزيد في فرحه المستهجن، وإعجابه بنفسه في مقام لا يستدعي ذلك؛ وكأنّ السّيدة زينب تستحضر قوله تعالى {ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ} (غافر٧٥). لذا "نجد أنّ التكرار كثّف الإيقاع الصوتي والدلالي في النص، ممّا أظهره بمظهر متّسق ومنسجم؛ لأنّ تكرار أصوات بعينها في بنيتين متتابعتين يؤدي إلى الربط بطريقتين هما: الربط بالتكرار، والربط الدلالي، حيث صنع التكرار الصوتي تكراراً معنوياً بين أجزاء النص"[١٠٤].

ثم يأتي الجناس بعد هاتين الجملتين في قولها: (مستوسقة، متسقة) لتكون سبباً لهذا الفرح، فمادتها واحدة، وهي (الوسق) مصدر، وسقت الشيء: جمعته وحملته[١٠٥]. غير أنّ ثمة فارقاً دقيقاً بينهما، فلفظة (مستوسقة) تعني مجتمعة ومنضمة مأخوذة من (اسْتَوسَقَتْ الإبلُ) أي: اجتمعت[١٠٦]. والثانية: (متّسقة)،تعني منتظمة؛ لأنّ الاتّساق الانتظام[١٠٧]. غير أنّ (مستوسقة) فيها زيادة في المبنى تتبعها زيادة في المعنى؛ لأنّ (الاجتماع والانضمام) فيه تكثيف للدلالة أكثر من الاتساق الذي يعني الانتظام، لذا استعملتها السّيدة زينب – عليها السّلام– مع الدنيا، فكأنّ الدنيا شاخصة أمام يزيد مطيعة له مجتمعة لأجله، على حين استعملت (متّسقة) مع الأمور التي لا تستدعي سوى الانتظام، فكانت دقيقة في التعبير عن المعنى المراد إيصاله إلى المخاطب، فضلاً عن ذلك التناغم الصوتي والتشاكل اللفظي بين اللفظتين فأحدثت هذا التشاكل

"الانسجام التام بين الإيقاع الصوتي، والموقف الذي سيق من أجله، فيتنوع الإيقاع بتنوع الأجواء المصاحبة له"[١٠٨].

ومن جماليات التعبير بالجناس قول السّيدة زينب – عليها السّلام– "مَهْلاً مَهْلا، لا تطشْ جَهْلا"، إذ كررت (مَهْلاً) تكراراً لفظياً ثم جانست معه (جَهْلاً)، وعلّة ذلك أنّها أرادت أولاً: أنْ تؤكد (مَهْلاً) توكيداً يتناسب وحجم اندفاع يزيد، وتهوره؛ لكي يصحو من غفلته، وكبريائه الزائف، فتاتي هذه الألفاظ متضافرة مسوقة لبيان التوكيد اللفظي الذي يكون "القصد الأساس فيه التذكير والترسيخ، فيشد التفات السامع بالإلحاح والتأكيد على جانب مهم من اللفظ والمعنى، وهو بهذا ذو وظيفة تداولية إعلامية تعمل على إثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد"[١٠٩]. واختيارها للمصدر (مَهْلاً) بدلاً من الفعل (مَهَلَ) لما فيه من انسجام صوتي ومعنوي بينه وبين (جَهْلاً) فالجانب الصوتي يتمثل بتكرار الهاء واللام والألف ممّا أحدث انسجاماً في الإيقاع وتأثيراً في النفس "فإذا ما تكرر صوت الحرف كان كأنّه نقرة تتبع أخرى على وتر واحد فيتميز الرنين، ويقوى باعث الإيقاظ، وقُلْ ضعف ذلك إذا تكرر حرفان"[١١٠] فضلاً عن ذلك فإنّ صوت الميم يشترك مع صوت الجيم في صفة الجهر[١١١]، ممّا تساعد في شدّ انتباه المتلقي، لما فيها من قوة إسماع تؤدي تثبيت المعاني في ذهنه.

أمّا الانسجام المعنوي، فالمهل هو: التؤدة والسّكون، ويقال: مَهْلاً نحو: رِفْقاً، وقد مهلته، إذا قلت له: مَهْلاً[١١٢]، فجاءت بالمصدر النائب عن الفعل؛ لأنّ المصدر فيه معنى الأمر، وهو أقوى وأثبت من الفعل؛ لدلالته على الحدث المجرد، فالأمر بالمصدر يكون دالاً على الدوام واللّزوم بخلاف الفعل الموضوع للحدث والتجدد[١١٣]، فأمرت يزيد بالرّفق، وعدم التسرع ممّا يتلاءم مع لفظة (جَهْلاً) التي تعني "السلوك بخفة، وطيش، وسفه، أو من جفاف يتمثل في السّلوك بجفاء"[١١٤] فأمرته أولاً بالتؤدة ثم نهته عن السّلوك بخفة وطيش. وهذا ما يتناسب مع جو الخطبة العام الذي أرادت به السّيدة زينب أنْ توضّح للملأ موقف يزيد من أهل بيت الرّسول صلّى الله عليهم.

٢. التكرار الشكلي والمعنوي:

التكرار ظاهرة بيانية تقوم بوظيفة الربط في مستوى البنية السطحية المحيلة إلى الانسجام الكلي للنصوص، وهو نوعان: يتمثل احدهما بتكرار للوحدة المعجمية نفسها تلبية لغرض معين من أغراض الكلام، ويتمثل الثاني بوجود مرادف أو شبه مرادف للوحدة المعجمية للسياق اللغوي نفسه أو في سياق مشابه[١١٥].

وقد شاع النوع الأول في خطبة السّيدة زينب (ع) إذ تكررت فيها وحدات معجمية تشكلت منها ظاهرة أسلوبية لها أثر في تماسك النص، وترابطه إذ تكررت فيها أسماء، وأفعال، وحروف جر، وجمل، فمن الأول لفظة (فرحاً) فقد تكررت في خمسة مواضع في بداية الخطبة في قولها: "تضرِبُ أصْدريكَ فَرحاً" وفي وسطها حينما

قالت: "يظهرُ كُفرَه برسولِ اللهِ، ويفصحُ ذلك بلسانِه، وهو يقول فرحاً بقتل ولده وسبي ذريته غير متحوبٍ ولا مستعظم يهتف بأشياخه:

لأهلُوا واسْتَهلُّوا فَرحاً ولقالُوا يا يزيدُ لا تشل"

وكذلك في "ولا يَسْتَفزنّكَ الفَرَحُ بقَتْلِهِم (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ) "[١١٦].

فالمرة الأولى التي جاءت فيها لفظة (فرحاً) كانت في معرض الحديث عن وصف حالة يزيد، وما يعتريه من نشوة الانتصار الزائف حين رأى الدنيا له باسطة ذراعيها،تدعوه للاستمتاع بها، والسياق الثاني جاء بياناً لسبب فرح يزيد وهو إظهار كفره بعد إنشاده لبيت من الشّعر بعدما اعتراه شعور الفرح مردداً البيت السابق، فصار عنده فرحان: الأول: بقتل أهل بيت النبوة، والثاني: باستشهاده بالبيت الشّعري متمنياً حضور أشياخه مهللين فرحين به.

أمّا الموضع الرابع فقد أوردته السّيدة زينب – عليها السّلام– في سياق النهي عن الفرح بقتل ذرية الرسول – صلى الله عليه وسلّم – مستشهدة بآية تبين أنّ الشهيد الذي يقتل في سبيل الله هو الأولى أنْ يكون فرحاً. فأرادت نهيه وتحذيره ليبلغ تأثير الكلام في نفوس المخاطبين، فالتكرار بمثابة ترسيخ فكرة مفادها استنكار ما يشعر به يزيد من الفرح بقتله ذرية الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – "فالمتكلم إنّما يكرر ما يثير اهتماماً عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أنْ ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو هم في حكم المخاطبين مِمّنْ يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار"[١١٧].

فتكرار اللفظة السابقة في مفاصل الخطبة ساعد على ارتباط عناصرها، وتحقيق التماسك النصي بين أجزائها.

وقد يكون الغرض من التكرار الكشف عن ارتباط الماضي بالحاضر وتأثر الأبناء بما يفعله الآباء والأجداد والسّير على خطاهم، من ذلك تكرار لفظة (الطّلقاء) فجاءت أولاً في قولها: "أمِنْ العدلِ يا بنَ الطّلقاء..." فكان ذلك تذكيراً بما فعله جدّها مع جدّه يوم فتح مكة من الصّفح عنه، وبما فعله هو في واقعة الطّف. ثم قولها: "فالعجبُ كلّ العجبِ لقتلِ الأتقياءِ، وأَسْباطِ الأنبياءِ، وسَليلِ الأَوصياءِ، بأيدي الطّلقاءِ الخبيثةِ، ونَسْلِ العَهَرةِ الفَجَرَةِ" فجاءت اللفظة لتبيين امتداد أفعال هؤلاء واستمرارها. فالسّيدة زينب أرادت إلفات نظر المخاطبين،وكشف أصله، وأفعاله الخبيثة، فـ "هناك تأثير نفسي لإعادة اللفظ، وهو ثبات العناصر المكررة في الذاكرة ممّا يؤدي إلى جعل نقطة الاتصال أكثر وضوحاً عند ذلك"[١١٨].

وقد تتكرر الأفعال، وفي تكرارها تلوين في الخطاب، وتنويع في الأساليب فمن ذلك قول السّيدة زينب عليها السّلام في تكرارها للفعل (هَتَكَ) "قد هتكتَ ستورهنّ" وفي موضع آخر قالت: "اللّهمّ خُذْ بحقِنا، وانْتَقِمْ من ظالمِنا، واحْلُلْ غَضَبكَ على مَنْ سَفَكَ دماءَنا ونضَضَ ذمارَنا، وقتلَ حُماتَنا، وهَتكَ عَنّا سُدولَنا". فجاء الهتك أولاً في

موضع الإخبار والتأكيد في معرض استعراضها لأفعال يزيد المشينة. والثاني: جاء في سياق الدّعاء على مَنْ قام بهذه الأفعال. وفي هذا الأسلوب إبعاد للرتابة والملل عن السّامع، فضلاً عن التأكيد على المعنى المراد بأساليب مختلفة. ومثل ذلك تكرارها للفعل (سَفَكَ) فقد جاء أولاً في سياق الدّعاء في النص السّابق، ثم مجيؤه في معرض الإخبار في قولها: "وسَتَرِدُ على رسولِ اللهِ بما تَحَمّلْتَ من دمِ ذريتِهِ، وانْتَهَكْتَ من حُرْمَتِهِ، وسَفكْتَ من دماءِ عُتْرَتِهِ ولُحْمتِهِ".

ومن تكرار الحروف ما جاء في قولها: "أظننْتَ يا يزيدُ حينَ أخذْتَ علينا أقطارَ الأرضِ، وضَيّقْتَ علينا آفاقَ السّماءِ"، وفي قولها: "أَمِنْ العدلِ يا بنَ الطُّلقاءِ؟ تَخْديرُكَ حَرائِرَكَ وإماءَكَ، وسَوْقُكَ بناتَ رسولِ اللهِ سَبايا"، فكررت السّيدة زينب – عليها السّلام– أداة النداء (يا) وهو عنصر انفعالي إفصاحي عالي الوتيرة، ساهم في ربط عناصر المنادى عليها، وربط فيما بينها[٢١٩]. فقد ربط بين (يزيد) العلم المنادى من دون لقبه السلطوي (خليفة)، إنكاراً منها، واستهجاناً لما فعله، وبين (ابن الطّلقاءِ)، وهي كُنية ذات طابع سيميائي إشاري، يرمز إلى أحداث تاريخية تنسجم مع ما حدث في واقعة الطّف، تذكيراً وموازنة، علماً أنّ ما جاء في هذه الخطبة كان موجّهاً لهذا المخاطَب الذي لا يعدو أسوأ خلفٍ لأسوأ سلفٍ، فحققت السّيدة بهذا الكلام تماسكاً وترابطاً ذا وشيجة واحدة، فضلاً عن ذلك أنّها استعملت أداة النداء (يا) لما فيها من مدّ الصوت؛ ليحدث بذلك قوة في الإسماع، كأنّها تريد أنْ تسمع الحاضرين فضلاً عن المخاطب، وكأنّ يزيد معرض عنها، فأرادت أنْ يقبل عليها لتلقي عليه الحجة. جاء في الكتاب "قد يستعملونها إذا أرادوا أنْ يمدوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم، أو للإنسان المعرض عنهم، الذي يرون أنّه لا يقبل عليهم إلاّ باجتهاد، أو النائم المستثقل"[١٢٠].

أمّا تكرار الجملة فيتمثل بجملة (الحمدُ للهِ) باستفتاحها للخطبة بقولها: "الحمدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ، والصّلاةُ والسّلامُ على جَدّي سَيّدِ المُرسلينَ" وختمتها بقولها: "الحمدُ لله الذي حكمَ لأوليائِهِ بالسّعادةِ" وبهذا التكرار ربطت بين أجزاء النص فجعلته متماسكاً مبنياً على (الحمدُ للهِ) في كلِّ الأحوال، ولاسيما أحوالهم الصعبة التي كانوا يعيشونها، ويعانون أشد أنواع العذاب، وفي هذه الحال يكون (الحمدُ للهِ) مطلوباً عند المؤمنين؛ لما فيه من عدم الجزع، والاستسلام لمشيئة الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن ذلك اختلاف تابع لفظة الجلالة بحسب ما يقتضيه السياق أضفى للخطبة قوة في التعبير، وقدرة على التأثير. فالجملة الأولى كانت جملة استفتاحية معهود في الخطابة العربية الإسلامية التي تبدأ بذكر الله، والحمد عليه، والصّلاة على رسوله، ويمكن عدّ هذه الجملة علامة نصية تضمينية، تحقق نوعاً من التجاور والتحاور بينها وبين بقية أجزاء النص[١٢١]، أو يستفاد منها في تفصيل الحديث عن جملة من القضايا التي تحقق نوعاً من الترابط النصي الذي يجعل من العتبة الاستهلالية بنية نصية ضرورية

لإنتاج المعنى المقصود. وفي الخاتمة كانت الجملة متبوعة بالموصول ولما في الصلة من دلالة على أنّ حكم الله هو الحكم الأوفى وأنّ جزاءه هو الأعدل. بناء على هذا يمكن القول "إنّ بناء النص على عناقيد من الكلمات المكررة يوضح القضية الكبرى في النص، فتلك هي المفاتيح التي تربط المحتوى القضوي، وتسهم في الربط بينهما"[١٢٢].

أمّا النوع الثاني من التكرار وهو التكرار المعنوي فقد ورد في الخطبة في مواضع متعددة منها قولها: "إنّ بنا من اللهِ هواناً، وعليك منه كرامةً وامتناناً وإنّ ذلك لعظم خَطَرِكَ وجلالة قَدَرِكَ"، فقد بدأت السّيدة زينب – عليها السّلام– خطبتها باستفهام إنكاري تنكر فيه على يزيد جملة أمور: منها اعتقاده بأنّ له عِظم الخطر، وجلالة القدر، فاستعملت جملتين متقاربتين في المعنى تأكيداً على إنكارها هذا الاعتقاد، وتقريراً لنفيها له، وعدم إيمانها به، فالعِظَمُ والجَّلالةُ متقاربان في المعنى؛ لأنَّ الأول يدلّ على الكِبَر والقوة، يقال: عَظُمَ الشّيء، فهو عَظِيمٌ، أي: كَبُر[١٢٣]. والجلالةُ: عِظَمُ القَدَر، والجّليلُ: عَظِيمُ القَدَرِ[١٢٤]. وكذلك (الخَطَر) و (القَدَر)، فالخَطرُ "ارتفاع المكانة والمنزلة، والمال، والشّرف"[١٢٥] و(القَدَر) هو: المُلْك، يقال: قَدَرَ على الشيء، قُدرةً، أي: مَلَكَ[١٢٦]. وأيضاً هو التعظيم "يقال: قدَّرَ فلاناً عظَّمَهُ"[١٢٧] نحو قوله تعالى: "وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ " الأنعام ٩١.

وعلى هذا يمكن القول: إنّ استعمال السّيدة لهذه الألفاظ المتقاربة في المعنى في جملتين متتابعتين يدلّ على تمكنها من التصرف في اللغة لاختيار ألفاظ معبرة وأساليب متنوعة يجلب انتباه المتلقي، ويشدّه إلى قضية مفادها افتقار يزيد إلى هذه الصّفات التي يظنّ أنّه متصف بها.

ثم تسترسل السّيدة زينب في ذلك الإنكار حتى تقول: "حين صفا لك ملكنا، وخَلُص لك سلطانُنا" فجاءت بهاتين الجملتين؛ لتؤكد بها على أنّ صفاء الملك، وخلوص السلطان لا يدلّ على أنّك يا يزيد على حق، ونحن على باطل بل قد يكون ذلك وبالاً عليك محتجّة بقوله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران١٦٩). فالجملتان (صَفا لك مُلكُنا)، و (خَلُصَ لك سلطانُنا) متقاربتان في المعنى، فلفظة (صَفا) و (خَلُص) فيهما تقارب في الدلالة مع فارق دقيق، فالأولى مشتقة من (الصفو)، وهو نقيض (الكدر)[١٢٨] ويدلُّ على خلوص من كل شوب، يقال: صفا يصفو إذا خلص[١٢٩].

والثانية يقال فيها: خَلُصَ الشيءُ خلوصاً إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم، وخلصت إليه، وصلت إليه[١٣٠]. وهو تنقية الشيء وتهذيبه، يقال: خلصته من كذا، وخلص هو[١٣١]. فالفارق الدقيق أنّ (خَلُصَ) فيها دلالة الوصول الخالص بخلاف (صفا) التي تدلّ على التنقية من دون الوصول.

وكذلك الحال في لفظتي (الملك) و (السّلطان) فالأولى تدلّ على التملّك والتولّي والقوّة[١٣٢]، والثانية تدلّ على قدرة الملك[١٣٣]، وهي مشتقة من (سلط) التي تدل على القوة والقهر[١٣٤]. فكلاهما يحملان معنى القوة غير أنّ الأولى فيها زيادة في المعنى وهو التملك وبذلك ربطت السّيدة زينب – عليها السّلام– بين هاتين الجملتين وما سبقهما من قوله: (لعظم خطر) و (جلالة قدرك) ربطاً نصياً لتستدل بهذا على ضعف يزيد وهوانه، وتؤكد ضلالته وغيه، وبعده عن الحق. وبعد أنْ ذكرت السّيدة زينب – عليها السّلام– خصال يزيد وما قام به من أفعال تنمّ عن خلقه الدني، وأصله الوضيع، توجهت بالدعاء إلى الله سبحانه بالدعاء عليه بسبب أفعاله المشينة، ونبّهته إلى ما سيؤول إليه في نهاية الأمر قائلة: "سَتردُّ على رَسولِ اللهِ بما تَحَمّلْتَ من دمِ ذريتِهِ، وانْتهكْتَ من حُرْمتِهِ، وسَفكْتَ دِماءَ عُتْرتِهِ ولُحمتِهِ، حيث يجمع به شَملُهم، ويَلِمُّ به شَعْثهم". فجاءت بجملتين متقاربتين في المعنى (يَجْمعُ به شَمْلَهُم) و (يلمُّ به شَعْثَهُم)؛ لتؤكد أمراً غاية في الأهمية، وهو قربهم من رسول الله – صلى الله عليه وسلّم - ؛ لأنّه جدّهم، والآخذ بحقّهم ممن ظلمهم، وقد ربطت بين الجملتين بما قبلها من تهديد ووعيد بأنّ الرّسول محمداً – صلّى الله عليه وسلّم – سيكون خصمك يا يزيد، وويل لم يكون الرسول خصمه، فالجمع واللم لا يكونان إلاّ لما تفرق، واختلف، فجاءت بهما معاً في جملتين متتابعتين لتؤكد هذا الأمر وتقرره في نفس المخاطب فـ "الجيم والميم والعين أصل واحد يدلّ على تضام الشيء"[١٣٥]. يقال: "جمعت الشيء المتفرق فاجتمع"[١٣٦]، أمّا (اللم) فيقال: "لـمّ الله شعثه، أي: أصلح وجمع ما تفرق من أموره"[١٣٧]. والفارق الدقيق بينهما أنّ الجمع هو جمع الشيء المتفرق فحسب على حين يأتي اللمّ للدلالة على الجمع والإصلاح.

بناء على هذا أنّ التكرار المعنوي ينم عن قدرة لغوية فائقة في استخدام الألفاظ المتقاربة في التعبير عن المعنى، ممّا يبعث النشاط، ويجعل المتلقي متأهباً لسماع ألفاظ جديدة تبعد عنه السأم والملل فتكسب النص حياةً جديدة ممّا "يكسب المعنى تلوناً في باطن النص، وتنوعاً في ظاهره ممّا يدعم تماسك النص وترابطه"[١٣٨].

ا لبنية ا لنحوية:

لا شك أنّ البنى اللغوية المختلفة تترابط وتتشابك مع بعضها لتكون النظام التواصلي للغة، وهي تشكل بمجموعها النظام الذي تاتي عليه اللغة، والبنية النحوية تختص بالعلاقة بين عناصر التركيب المختلفة[١٣٩]. وما يربط بها من دلالات مختلفة، ومعانٍ متعددة، وهي مرتبطة بالمرسل والمتلقي، وعلى هذا تكون داخلة في إطار علاقة الاتصال بين طرفي اللغة فضلاً عن السياق العام للكلام[١٤٠]. ومن أهم ما تقدمه البنية النحوية هو قدرتها على التعبير الدقيق من خلال وسائل التماسك النص لفظاً ومعنى، إذ إنّ هذه الوسائل تساعد النص على تلاحم أجزائه وترابطها ليعطي معناها للمتلقي كما أراده المبدع أو المتكلم[١٤١]. ومن أهم هذه الوسائل النصية هي: الإحالة،

والوصل، والحذف، وغيرها من الوسائل لكننا سنكتفي بالكلام عن الإحالة والوصل لشيوعهما في الخطبة.

الإحالة:

تعدّ الإحالة إحدى العلاقات النصية التي تقع بين الألفاظ والتراكيب فاللفظة لا تقوم مستقلة بذاتها، وإنّما تتمثل في عودة بعض عناصر الملفوظ إلى عناصر لفظية أخرى، ممّا يكون لها أثر في تماسك النص وترابطه.

والإحالة لغة: تدل على التغيير والتحويل، قال الخليل: "حال الشيء يحول حؤولاً في معنيين، يكون تغييراً، ويكون تحويلاً"[١٤٢]. وقريبٌ من هذا ما ذكره الزمخشري عن النضر، أنّه فسّره بالتحريك من حال الشخص يحول إذا تحرك... وحال عن مكانه: تحول[١٤٣]، قال تعالى: {لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً } (الكهف١٠٨) أي: تحولاً، وكذلك يدلّ على التنقل من موضع إلى موضع، يقال: حال عن الشيء، تفرق عنه إلى غيره إلى غيره[١٤٤]. وعلى هذا يمكن القول إنّ هذه المعاني تكاد تكون متقاربة، ولا تخرج عن معنى التغيير، والتحويل والتنقل.

أمّا في الاصطلاح فالإحالة: "ليست شيئا يقوم به تعبير ما ولكنها شيء، يمكن أنْ يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيراً معيناً"[١٤٥]. وهي علاقة دلالية غير خاضعة لقيود نحوية إلاّ أنّها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل، والعنصر المحال إليه، وتتمثل الإحالة بالضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة[١٤٦].

وإذا وقفنا على هذه الوسائل النصية في خطبة السّيدة زينب ٠ عليها السّلام– نجد أنّ الضمائر هي أوفر حظاً من غيرها، وذلك لأنّ الضمير له الأصالة في الترابط في التراكيب، فقد وضع لتحقيق غرض الربط، وهذا الربط قائمٌ على المعنى[١٤٧]. إذْ يجعل أجزاء النص المتباعدة مترابطة متماسكة، وقد تكررت في الخطبة ضمائر الخطاب وضمائر التكلم؛ ولعلّ مردّ ذلك يعود إلى أنّ الخطبة قائمة على الحجاج، والحوار مع شخص ماثل أمامها بشخصه، فتطلب ذلك استعمال ضمير المخاطب والمتكلم على نحو استولى على فضاء الخطبة، فضلاً عن ذلك أنّ الضمائر المستعملة في الخطبة تمثل قوتين: إحداهما متسلطة مستولية قاهرة، والأخرى مقهورة مظلومة بطشت بها القوة الأولى وبرغم ظهور القوة الأولى واستعلائها فهي ضعيفة، أو أوهى من خيوط بيت العنكبوت[١٤٨]. إذْ افتتحت السّيدة زينب – عليها السّلام– خطبتها بنداء يزيد باسمه الصريح بقولها: "أظننْتَ يا يزيدُ..." فاستعملت أداة النداء (يا) التي تفيد البُعد رغم مثوله أمامها، لبُعد يزيد عنها نفسياً ممّا ألقى بظلاله عليها، فجاءت بَعْد هذا بضمائر الخطاب التي تُحيل إلى البنية المحورية المتسلطة في الخطاب (يزيد) نحو: (أخذْتَ، ضَيّقْتَ، أنتَ، عليكَ، خَطرَكَ، قَدرَكَ، أنْفَكَ، نَظَرْتَ، عَطْفكَ، تَضْربُ، أصْدريْكَ...) فالمخاطب والمتلقي عارف بالاسم الذي تعود عليه الضمائر، ممّا أدّى

إلى عدم تكرار الاسم والاستغناء عنه بضمير عائد وهذا من روائع الإيجاز والبلاغة في العربية[١٤٩]، فضلاً عن وظيفة الربط والتماسك بين أجزاء النص. أمّا القوة الثانية، فهي القوة المظلومة التي تتمثل في ضمائر التكلم التي وردت في قولها: (علينا، أصبحنا، نساقُ، بنا، ملكنا، سلطاننا، ...." فالضمائر المحيلة تعود إلى (بنات رسول الله) فالإحالة هنا بعدية قد سبقت بنداء (يا بن الطلقاء) فيه إحالة خارجية إذ تشير في هذه الكنية إلى ما فعله جدّها رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – بجد يزيد. وقد أرادت بذلك أنْ تربط الخطبة بأحداث تاريخية خارجة عن النصّ لما فيها من دلالات سامية تشير إلى الموازنة بين القوة التي كانت بيد جدّها، وما فعله بجدِهِ، والقوة التي بين يديّ يزيد، وما فعله ببنات رسول الله.

والجدير بالإشارة إلى أنّ ضمائر الخطاب، والتكلم تظل مستولية على أجواء الخطبة من أولها إلى آخرها. وأغلب الإحالات في ضمائر الخطاب تعود إلى الجملة الأولى (يا يزيد)، وقد امتازت هذه الضمائر بارتفاع النبرة وحدّتها، فضلاً عن ربطها لأجزاء النص، وأثرها في تماسكه نحو: "استأصلت الشأفة بإراقتك دم سيد شباب أهل الجنة... وهتفت بأشياخك، تقربت بدمه إلى الكفرة من أسلافك، ثم صرخت بندائك...". أمّا ضمائر التكلم فنجد أنّ الحزن يطغى عليها نحو "اللهمّ خُذْ بحقنا، وانتقمْ من ظالِمنا، واحللْ غضبَك على مَن سفكَ دماءَنا، ونقضَ ذمارَنا، وقتلَ حماتَنا، وهتكَ عنا سدولَنا". فالخطاب هنا متوجه لله؛ لذا جاءت ضمائر التكلم فيها من الخشوع والدعاء إليه بالاستجابة.

وعلى هذا تكون السّيدة زينب – عليها السّلام– قد ربطت ربطاً معنوياً فضلاً عن الربط اللفظي بين ضمائر الخطاب، فتوجهت بضمائر الخطاب أولاً إلى يزيد وما فعله ببنات رسول الله ثم توجهت لله لكي ينتقم منه لما فعله بهم، ثم عادت مخاطبة إياه مرة أخرى؛ لتنبهه على عواقب أفعاله وجرائمه بذرية رسول الله – ﷺ - .

أمّا ضمير الغائب فله خصائص بنيوية جعلت المتكلم يحسّ به ويستعمله في خصائص أسلوبية معينة، وهذه الخصائص مستمدة من الأصوات التي يتكون، فالهاء وما فيها من خفاء أولى بالغائب الذي هو أخصّ وأبطن، ثم وصلت بالواو؛ لأنه يرمز إلى المخاطب ليعلم ما في النفس من مذكور وبذلك يحدث نوع من الشراكة في العملية اللغوية بين المتكلم والمخاطب[١٥٠]، فضلاً عن ذلك أنّ ضمائر الغيبة تؤدي دوراً مهماً في اتّساق النص، إذ تقوم بربط أجزاء النص، وتصل بين أقسامه[١٥١]. من ذلك قول السّيدة زينب – عليها السّلام– "وأنّى يُرتجى مراقبة مَنْ لفظَ فوه أكبادَ الشّهداءِ، ونبتَ لحمُهُ بدماءِ السّعداءِ، ونَصَبَ الحربَ لسّيدِ الأنبياءِ، وجَمعَ الأحزابَ، وشَهرَ الحرابَ، وهَزَّ السّيوفَ في وجهِ رسولِ اللهِ – صلّى الله عليه وآله – أشدُّ العربِ جُحوداً، وأَنكرُهُم له رَسولاً، وأَظْهرُهُم له عدواناً، وأَعْتاهُم على الرّبِّ كفراً وطغياناً".

فقد افتتحت هذه الفقرة بالربط بين ضمائر الغيبة بالإحالة الخارجية، فهي تحيل إلى موقف خارج النص وهو ما قامت به جدة يزيد من عمل بجسد حمزة – عليه السّلام– وأكل كبده، وبتكرار هذه الضمائر يحصل انسجامٌ رائعٌ في النص، وترابطٌ بين النص والعالم الخارجي فنحصل بذلك على نوع من البنية التواصلية(١٥٢). فضلاً عن ذلك أنّ السّيدة لم تكتفِ بربط ضمائر الغيبة بالإحالة الخارجية بل ربطت أيضاً بين ما فعله أجداد يزيد وما فعله هو بقولها: "ألا إنّها خلال الكفر، وصب يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر، فلا يستبطئ في بغضنا أهل البيت مَن كان نظره ألينا شنفاً وإحناً وأظغاناً، يظهر كفره برسول الله، ويفصح ذلك بلسانه، وهو يقول: "فرحاً بقتل ولده وسبي ذريته، غير متحوب، ولا مستعظم، لأهلوا واستهلوا فرحاً". فكأنّ أفعال يزيد هي نتيجة أفعال إسلافه. ومثلما جمعت السّيدة بين ضمائر الخطاب والتكلم في تراكيب معينة، كذلك جمعت بين ضمائر الخطاب والغياب، فحققت بذلك الجمع ترابطاً معنوياً ولفظياً بين التراكيب من ذلك قولها: "وسترد على رسول الله بما تحملتَ من دمِ ذريتِهِ، وانتهكتَ من حرمتِهِ، وسفكتَ من دماءِ عترتِهِ ولحمتِهِ، حيث يجمعُ به شملهم، ويلمّ به شعثهم، وينتقم من ظالمهم، ويأخذ لهم بحقهم من أعدائهم". فضمائر الخطاب تمثل القوة الظالمة المستعلية، وضمائر الغائب تمثل القوة العادلة المنتقمة التي تعود إلى لفظ الجلالة، فضلاً عن عودة ضمير الغائب على الرسول وأهل بيته الكرام.

أمّا النوع الثاني من الإحالة فهو إسم الإشارة، وقد تميز المفرد منها بإمكانية الإحالة فيه إلى جملة بأكملها، أو متتالية من الجمل ممّا أطلق عليه بـ (الإحالة المسموعة)(١٥٣).

وقد ورد اسم الإشارة المفرد في الخطبة أربع مرات، منها ما جاء في قولها: "تلكّ قلوبٌ قاسيةٌ، ونفوسٌ طاغيةٌ، وأجسامٌ محشوةٌ بسخط اللهِ، ولعنةِ الرّسولِ". ثم تتابع الوصف إلى أن تقول: "تلك الجثث الزاكية على الجيوب الضاحية" فاستعملت اسم الإشارة الدال على البعيد في كلتا. قال المبرد: "فإذا خاطبت زد الكاف للذي تكلمه، ودلّ الكلام بوقوعها على أنّ الذي تومئ إليه بعيد، وكذلك جميع الأسماء المبهمة إذا أردت التراخي زدت كافاً للمخاطبة؛ لأنّك تحتاج إلى أنْ تنبّه بها المخاطب على بُعد ما تومئ إليه"(١٥٤).

وعلى هذا يكون الكاف علامة يدلل بها المتكلم للمخاطب على أنّ الذي يشير إليه بعيد وليس قريباً، فجاءت المفردات مراعية حالة المخاطب، والعلاقة بينه وبين المتكلم(١٥٥).

وعلى الرغم من دلالة البعد في اسم الإشارة (تلك) إلاّ أنهما مختلفان من حيث الإشارة والدلالة، فالأولى إشارة إلى عدد كبير من المواقف والأحداث التي تصوّر أفعال يزيد بأهل البيت، فترتّب على ذلك الحكم عليهم، والإشارة لهم إشارة حسّية

ومعنوية من حيث إنّهم بعيدون في الضلالة وجاء الخبر نكرة، والوصف بالقسوة؛ للدلالة على تحقيرهم والحطّ من شانهم، على حين جاءت الإشارة الثانية دالة على البعد الحسي والمعنوي أيضاً غير أنّ الحسي يتمثل ببعد الجثث عنها من حيث المكان، والمعنوي للإشارة إلى منازلهم العالية كما في قوله تعالى {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} (سورة البقرة ٢٥٣). كذلك جاء الخبر معرّفاً بـ (أل) للدالة على أنّ هذه الجثث معروفة للمتلقي بخلاف القلوب النكرة التي امتلأت بالحقد والكراهية، فضلاً عن وصف هذه الجثث بكونها زاكية؛ للدلالة على المبالغة في وصفها بالطهارة فساهم هذا الاسم بالربط النصي بين أجزاء الخطبة فضلاً عن بيان الفرق بين القوتين: الخيرة والشريرة.

أمّا النوع الثالث من عناصر الإحالة فهي الأسماء الموصولة ووظيفتها في الربط مستمدة من اسمها إذْ إنها "سميت هذه موصولات، لأنها لا تتم اسماً إلاّ بما تصل بها وحقيقة الاتصال والوصل هو كون الشيء إلى جنب الشيء"[١٥٦]. وتقوم الأسماء الموصولة بوظيفة الربط التركيبي فضلاً عن التعويض ولكونها مبهمة تحتاج إلى صلة تفسرها[١٥٧]. وقد اشترط النحويون أنْ تكون الصلة معلومة لدى المخاطب؛ لأنّ الغرض منها تعريف المنكور بما يعلمه المخاطب من حاله ليصح الإخبار عنه بعد ذلك"[١٥٨]. وبذلك يكون استعمال الموصول مبنياً على العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب، والملاحظ على الأسماء الموصولة الواردة في خطبة السّيدة زينب أنّ أغلبها جاء بلفظ (مَنْ) لاختصاصها بأولي العلم فضلاً عن دلالتها العامة، فهي صالحة للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، ويجوز مراعاة لفظها من حيث الإفراد والتذكير كما يجوز مراعاة المعنى[١٥٩]. ممّا جعلها أكثر قدرة على التعبير عن المعنى المراد؛ لذا كررت السّيدة زينب – عليها السّلام– (مَنْ) مرتين في فقرة واحدة وذلك في قولها: "ولا غرو منكَ ولا عجبَ من فعلِك، وأنّى يرتجى مراقبة مَنْ لفظ فوه أكبادَ الشّهداءِ، ونبتَ لحمُه بدماءِ السّعداءِ، ونصبَ الحربَ لسّيدِ الأنبياءِ، وجمعَ الأحزابَ، وشهرَ الحرابَ، وهزَّ السّيوفَ في وجه رسولِ الله صلّى الله عليه وآله" وكأنّها باستعمال (مَنْ) الموصولة ربطت بها أفعال أسلاف يزيد المشينة نساء، ورجالاً ثم تتابع ذكر أفعالهم إلى أنْ تصل بقولها: "فلا يستبطئ في بغضنا أهل البيت مَنْ كان نظره إلينا شنفاً وإحناً...." والمقصود بهذا القول يزيد فربطت بين فعله وفعل أسلافه بالاسم الموصول (مَنْ) الدال على العموم فضلاً عن صلته المعلومة لدى المخاطب التي تذكر فيها أفعال أسلافه فضلاً عن أفعاله الظاهرة المعلومة، ثم تدعو عليه بقولها: "اللهمّ خُذْ بحقنِا وانتقمْ مِنْ ظالمِنا، واجعلْ غضبَكَ على مَنْ سفكَ دمائَنا، ونقض ذمارِنا، وقتل حماتَنا، وهتكَ عنا سدولَنا، وفعلتَ فعلتَكَ التي فعلتَ..."، فجاءت باسمين موصولين، الأول (مَنْ) وصلتها (سَفَكَ) و (نَقَضَ) و (قَتَلَ) و (هَتَكَ) لما في (مَنْ) من الدلالة على أنّ الذي قام بهذه الأعمال هو يزيد فضلاً عمن سانده وأيّده، على حين

استعملت (التي) في قولها: "فعلت فعلتك التي فعلت" مشيرة بذلك إلى أنه تصدر وحده هذه الفعلة من دون غيره، وهي قتله للحسين – عليه السّلام– بناء على طلبه، ثم تنتقل إلى نبرة التهديد بقولها: "وسترد على رسول الله بما تحملت من دم ذريته وانتهكت من حرمته، وسفكت من دماء عترته ولحمته، فاستعملت (ما) الدالة على الإبهام والاتساع في المعنى مع الفعل (تحملت) للإشارة إلى الأعمال المتعددة، فضلاً عن أن الفعل (تحمّل) يشير إلى أمور فعلها يزيد قد تخطر على البال وأخرى لا تخطر، فجاء الفعل موافقاً لاستعمال (ما).

ثم تختتم الفقرة بنبرة أكثر حدّة وشدّة، وذلك بقولها: "وسيعلم مَنْ بوأك ومكنك من رقاب المسلمين، فالفعل "سيعلم وما فيه من الوعيد البليغ"[١٦٠] و (مَنْ) وما فيها من الصلة الدالة على فعل السطوة والتمكين من الرقاب ما يلقي في قلب المخاطب الروعة، والتهديد، لتشير به إلى أنّ هذه القوة المظلومة ليست خائفة منك يا يزيد، وتكون بذلك ربطت الاسم الموصول بما سبقه من أسماء موصولة فأحدثت نوعاً من الاتساق اللفظي والمعنوي.

ثم ختمت الخطبة بالاسم الموصول (الذي) المختص بالمذكر العاقل وهو قولها: "الحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه بالشهادة" وذلك لكونه نعتاً للفظ الجلالة لنشير بصلته على حكم الله لأوليائه وهم أهل بيت الرحمة وهذا الحكم هو السعادة الأبدية، وختم لأصفيائه بالشهادة وتشير بذلك إلى الحسين وأصحابه الذين قتلوا في سبيل الله.

ا لوصل:

إنّ اللغة العربية أداة للتواصل الاجتماعي هدفها الأساس تحقيق غاية جمالية تسمو بها، وهي أداء الفكرة المراد إيصاله في وضوح لا لبس فيه لتصل إلى المخاطب في جمال وجلاء، وكي يتحقق هذا الهدف لابد من وجود رابط يربط بين الألفاظ والجمل، وقبل البدء بالأدوات التي تربط بين الألفاظ والجمل لابد من الوقوف على معنى الوصل.

ففي اللغة جاءت مادة (وصل) دالة على إيصال شيء بشيء، وعلى بلوغ فكل شيء اتّصل بشيء، فما بينهما وَصْلَة، أي: اتصال. ووصل الشيء بغيره فاتصل، ووصل إليه وصولاً، أي: بلغ[١٦١]، وقد ذكر ابن فارس أن (الواو والصاد واللام، أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه، ووصلت به وصلا"[١٦٢].

أمّا المعنى الاصطلاحي فهو "عطف بعض الجمل البعض"[١٦٣]، أو هو علاقة تتحدد فيها الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم، أي: إنّ النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، ولكي تُدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة منوعة تصل بين أجزاء النص[١٦٤].

وعلى هذا يكون المعنى اللغوي والاصطلاحي واحداً إلاّ أنّ اللغوي فيه دلالة عامة على أي اتصال بغض النظر عن نوعه، على حين يتحدد الوصل في الدلالة الاصطلاحية بالربط بين الجمل بالأداة، أو أي عنصر له أثر في ترابط النص وتماسكه. غير أنّ الوصل بالأداة يشغل حيزاً كبيراً في تراكيب العربية؛ ومن ذلك الوصل بحروف العطف، فوظيفتها وصل الكلام بعضه ببعض والإشراك بين المعطوف والمعطوف عليه، وهي "علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص"(١٦٥). وهذا يفسر لنا كثرة مجيء أدوات العطف في الخطبة ولاسيما الواو، فقد كان لها حضور واسع، نحو قولها: "أظننتَ يا يزيدُ حين أخذتَ علينا أقطارَ الأرضِ، وضيّقتَ علينا آفاقَ السماءِ، فأصبحنا لكَ في أسارٍ، نساقُ اليكَ سَوْقاً في قطارٍ، وأنتَ علينا ذو اقتدارٍ أن بنا من الله هواناً وعليكَ منه كَرامةً وامتناناً، وأنّ ذلك لِعظَمِ خطركَ، وجلالة قدركَ، فشمخْتَ بأنفِكَ، ونظرْتَ في عطفكَ، تضربُ أصدريكَ، وتنقضُ مذرويكَ مَرَحاً". إذْ جمعت السّيدة زينب – عليها السّلام– بين جملتين " أخذْتَ علينا أقطارَ الأَرضِ، وضَيّقتَ علينا آفاقَ السماءِ" بينهما دلالة مشتركة وهي القهر والتمكين بحرف العطف الذي يفيد الاشتراك والربط ثم جاء حرف الفاء بعد ذلك ليفيد أن الأسماء جاءت عقيب التضييق بفترة قصيرة لذا عبّرت عن ذلك بالفعل (أَصْبَحَ) ثم فسّرت (الإسار) بقولها: "نساقُ اليكَ سَوْقاً في قطارٍ" لذا لم تحتج إلى رابط لفظي (حرف عطف) يربط بين الجملتين؛ لارتباطهما معنوياً. ثم تنتقل السّيدة زينب – عليها السّلام– إلى بيان حال يزيد فتخاطبه: أتظن أنّ ما يحدث لنا "أن بنا من الله هواناً وعليكَ منه كرامة" فتربط الجملة الثانية مع الأولى رغم أنّهما في الظاهر لا اشتراك بينهما؛ وذلك يعود لما تحمله هاتان الجملتان من الدلالة على النفي، ويعضّد ذلك ما افتتحت به من استفهام في قولها: "أظننْتَ" وهو استفهام إنكاري يفيد النفي، ثم تتابع الجمل المعطوفة بالواو إلى جملة (فَشَمخْتَ بأنفِكَ) فربطت بالفاء؛ لأنّها متضمنة معنى السببية؛ لأنّ الشموخ بالأنف كان نتيجة لما تقدمه من أفعال دالة على حاله. وعندما وصلت إلى جملة (تضربُ أصدريكَ) استغنت عن العاطف لوجود المعنى الجامع بين هذه الجمل التي وقعت أحوالاً، وهو التعالي والتكبر والشعور بالفرح، والفخر. لذا نجد أنّ "العطف يميل إلى الترابط والتماسك حيث تتوالد المعاني من بعضها البعض، وتخلّف المتواليات القديمة متواليات جديدة"(١٦٦).

ويستمر الترابط والتواصل بين التراكيب إلى أن تفتتح السّيدة زينب – عليها السّلام– الفقرة الثانية باستفهام يخرج للدلالة على الإنكار أيضاً، وكأن السّيدة تريد تذكير المتلقي بالاستفهام الأول، رابطة به الثاني لتؤكد الإنكار على تلك الأفعال المشينة التي قام بها يزيد غير أنّ هذه الفقرة استعملت فيها الجملة الاسمية (تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا)؛ لأنّ الاسمية تدل على الثبات، وهذا

الأمر ثابت ومتحقق، وقد رُبطت هذه الجمل الاسمية بجمل فعلية تصدرتها جملة فعلية مسبوقة بـ (قد)، وهي من الأدوات الرابطة[١٦٧]. ولاسيما أنّها دخلت على الفعل الماضي (هتكت)، وما عطف عليه (وأبديت وجوههن) لتقربه من الحال، حتى يصحّ اتّساق أجزاء الكلام، ثم استغنت عن حرف العطف في جملة (تَحْدُوا بِهُنّ الأَعْدَاء مِنْ بلدٍ إلى بلدٍ) لشدة اتصال الفعل بما سبقه من الكلام، إذْ ذكرت تفصيل السّبي، وهو هتك السّتور، وإبداء الوجوه؛ ليعود اتصال الحدو بالسَّوق، بقولها: "سَوْقُكَ بناتِ رسولِ اللهِ سَبايا"، ثم تواصل العطف بين الجمل جامعة للمعاني بين التراكيب؛ لأنّ المعاني المشتركة أساس العطف بين الجمل، فقولها: "يتصفّحُ وجوههنَّ القريبُ والبعيدُ، والغائبُ والشّهيدُ، والشّريفُ والوضيعُ..." جمعت فيها أفراد المجتمع من حيث البُعد المكان والزماني والاجتماعي والطبقي وقد تجاورت هذه المعطوفات في سياق التقابل الدلالي؛ لذا فإنّ ذكر إحداهما يستدعي استحضار نقيضه في النفس[١٦٨].

وتبقى الواو هي الأداة الرابطة المهيمنة على أغلب تراكيب الخطبة حتى لا تكاد تخلو فقرة منها. ولعلّ ذلك يعود إلى أنّ العطف بالواو؛ لإفادة معنى الجمع حسب، بخلاف سواها من الحروف العاطفة التي تفيد مع الجمع معاني آخر، فضلاً عن ذلك إنّ الواو لا تصل جملة بأخرى إلا إذا كان المعنى في إحداها متصلاً بمعنى الجملة الثانية. فقد ذكر الدكتور الجواري أنّ أكثر علماء العربية يجعلون الوصل مختصاً بحرف الواو؛ لأنّه يدلّ على جوهر معنى العطف، وهو الجمع معلّلاً ذلك بقوله: "إنّ مطلق الجمع هو الأساس، وهو النواة التي منها تنبت سائر المعاني كالجمع على سبيل الترتيب والتعقيب، أو الجمع على سبيل الترتيب والتراخي.... وغير ذلك من المعاني"[١٦٩].

ومن الوصل بحروف العطف الأخرى، العطف بـ (ثُمّ) فقد تكررت مرتين الأولى في قولها: "وهتفْتَ بأشياخِكَ، وتقربْتَ بدمِهِ إلى الكفرةِ مِنْ أسلافِكَ ثم صرخْتَ بندائِكَ ولَعَمْري لقد ناديتهم لو شهدوك". فقد جمعت بين هتاف يزيد بأشياخه وتقربه بدم الحسين – عليه السّلام– إلى الكفرة بالواو؛ لأنّها تدلّ على مطلق الجمع والتشريك في المعنى فحسب لكنّها وصلت هذه الأفعال فيما بعد بـ (ثُمّ) لما فيه من بُعد معنوي وتراخٍ زمني، فالصّرخة جاءت تالية لقتل الحسين – عليه السّلام– بزمن غير متصل، وكذلك تدلّ (ثُمّ) على تفاوت في الزمن، والبعد المعنوي، والمكانة، فقتل الحسين – عليه السّلام– وهو سبط الرسول – صلّى الله عليه وآله وسلّم – يدعو للعجب، وانغماس القاتل في الضلالة ـ إذ إنّه تقرّب بدمه إلى أسلافه الكفرة ـ فبدلاً من أنْ يشعر بالندم من هذه الفعلة صرخ فرحاً ممّا أدّى ذلك إلى بُعدٍ أكثر في الضلالة فناسب هذا المعنى معنى (ثُمّ)، "لقد وضع اللسان العربي (ثُمّ) في الأصل للدلالة على تراخي الحدوث بين المتعاطفين في الزمان، ثم استعارها للدلالة على التراخي بينهما في

المرتبة، فكأنّه شبّه تباعد ما بين المتعاطفين في المرتبة بتباعد ما بينهما في الزمان"[١٧٠].

والموضع الآخر الذي جاءت فيه (ثمّ) في قولها: "فلئنْ اتخذتنا مغنماً لتجد بنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلاّ ما قدمت يداً، وما اللهُ بظلامٍ للعبيدِ فإلي الله المشتكى والمعوّل، وإليه الملجأ والمؤمل ثم كدْ كيدَكَ واجهدْ جهدَكَ فواللهِ الذي شرّفنا بالوحي والكتابِ، والنبوّةِ، والانتخابِ لا تدرك أمدَنا، ولا تبلغ غايتَنا، ولا تمحو ذكرَنا، ولا يرحض عنكَ عارَنا". جاءت (ثمّ) لتدلّ على الاستبعاد والتناقض ما بين المعطوف والمعطوف عليه، أي: إنّ حدوث المعطوف مستبعد في العقل بعد حصول المعطوف عليه، وهذان أمران متباعدان، وممّا يؤكد ذلك السياق (لئن اتخذتنا مغنماً لتجد بنا وشيكاً مغرماً) إذ يستحيل الجمع بينهما؛ لذا فإن العطف بثم في مواضع كثيرة يقصد به لإظهار الاستبعاد والمفارقة والتناقض بين موقفين "ويصل الاستبعاد بين المتعاطفين إلى حدّ استحالة الجمع بينهما"[١٧١]. فالسّيدة زينب – عليها السّلام– أرادت استبعاد ما كان يصبو إليه يزيد، وكذلك لتوبّخه وتقرّعه على ما قام به من أفعال، وأيضاً فإنّ استعمال (ثمّ) هنا يدلّ على التفاوت، والتباعد بين مرتبتي المعطوف والمعطوف إليه .

الخاتمة

إن كل لفظة من ألفاظ السّيدة زينب – عليها السّلام– يعد شحنة من العواطف والمشاعر التي تعبّر عن مكنونات قائلها، فتلقى بظلالها على المخاطب مُحْدِثة فيه الشجن، والحزن العميق، فكأنّها سهام منطلقة من نصلها، تقطر دماً، فتصل تلك السهام إلى قلب معجون بالقوة والعنجهية فلا توتر فيه لكنها أثرت بما جاء بعده من أجيال إلى عصرنا الحاضر، وعند وقوفنا على هذه الألفاظ توصلنا إلى ما يأتي:

١. تتسم الخطبة بالوحدة النصية الكلية تندرج تحتها وحدات نصية أصغر مرتبطة فيها لا تكاد تنفك عنها، وهذا الترابط متأتٍ من وحدة الموضوع والغرض الأساسي الذي قيلت من أجله الخطبة وهو إظهار حقيقة يزيد أمام الناس ووضع الأمور في نصابها الحقيقي، وهو ظلم يزيد لآل البيت، وإن استشهادهم ما هو إلاّ لرفعة شأنهم، وانحطاط شأن عدوهم.
٢. تميزت الخطبة بأنّ البنى التي تكونت منها مترابطة ومتماسكة، وكأنها نسيج واحد ينماز بجودة السبك، متراص الأجزاء، مترابط الفقرات، كل فقرة متصلة بما قبلها من حيث اللفظ والمضمون.
٣. إن للعلاقات الدلالية في الخطبة مثل: الإجمال والتفصيل والعموم والخصوص والتقابل الدلالي أثراً كبيراً في ربط أجزاء النص، فعلى الرغم

من خصوصية التعبير لكل علاقة من هذه العلاقات إلاّ أنها اشتركت في غرض واحد، وهو حمل المخاطب على الانتباه والتركيز، وشد ذهنه للتفكير فيما يقال. فضلاً عن تجلي الحقائق المكنونة عبر وسيلة الإقناع المؤثرة في الخطبة.

٤. التكرار الصوتي في الخطبة كان يمثل مظهراً فعّالاً من مظاهر البلاغة فهو يملك ناحيتين: لفظية ومعنوية. فالجانب اللفظي يحدث نغماً صوتياً وإيقاعياً تستلزمه العبارة، ولتوازي الفقرات، على حين يرتبط الجانب المعنوي بمقتضى الحال لأهميته في ثبوت الحقائق وتقريرها في النفس، وقد كان التكرار ظاهرة أسلوبية شائعة في الخطبة وكان لها أثر في ربط النص على مستوى البنية السطحية المحيلة إلى الانسجام الكلي للنصوص.

٥. تتسم الخطبة بكثرة الإحالات النصية ممّا يجعل فقرات الخطبة غير مستقلة بنفسها الأمر الذي يزيدها قوة في الترابط وقدرة على التماسك فضلاً عن ذلك أنّ تنوع الإحالات في الخطبة أضفى تنوعاً في المواقف الاجتماعية، إذ لم تقتصر الإحالة في الخطبة على الأشياء داخل النص بل امتدت إلى مواقف خارج النص، ممّا يدلّ على وجود علاقات متشابكة ومتفاعلة بين اللغة والمواقف الاجتماعية والثقافية العامة.

٦. الواو كان أكثر حروف العطف هيمنة على مفاصل الوصل بين جمل الخطبة وفقراتها لما يحمله من معنى الاشتراك والربط المطلق.

ملحق:

خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس الطاغية يزيد[١٧٢]

روى الشيخ الطبرسي في كتاب «الاحتجاج ما يلي: احتجاج زينب بنت علي بن أبي طالب، حين رأتْ يزيد (لعنَه اللهُ) يضربُ ثنايا الحسين عليه السّلام بالمخصرة. روى شيخٌ صدوقٌ من مشايخ بني هاشم، وغيره من النّاس: أنّه لما دخلَ عليُ بن الحسين (عليه السّلام) وحرمُه على يزيد، وجِيء برأسِ الحسين (عليه السّلام)، ووضع بين يديه في طَسْتٍ، فجعل يضربُ ثناياه بمخصرةٌ كانتْ في يده، وهو يقول:

لعبتْ هاشم بالملك فلا ... خبر جاء، ولا وحي نزل

ليـــتَ أشياخـــي ببـــدرٍ شَـــهدَوا جـــزعَ الخـــزرجِ مـــن وقـــعِ الأســـل
لأهلـــــوا و استهلّـــــوا فرحـــــاً و لقالـــوا : يـــا يـــزيدُ : لا تَشَـــل
فجزينـــــاهُ ببـــــدرٍ مثـــــلاً و أقمنـــا مثـــل بـــدرٍ، فاعتـــدل
لســـتَ مـــن خنـــدفٍ إن لـــم أنـــتقم مـــن بنـــي أحمـــدَ.. مـــا كـــان فعـــل

قالوا: فلما رأت زينب ذلك أهوت إلى جيبها فشَقّته، ثم نادتْ بصوتٍ حزينٍ يقرحُ القلوبَ: «يا حسيناه! يا حبيبَ رسولِ اللهِ، يا بن مكة ومنى، يا بنَ فاطمة الزهراء سيدة النسّاءِ، يا بنَ محمّد المصطفى.

قال: فأبكتْ ـ واللهِ ـ كلّ مَنْ كان، ويزيد ساكتٌ، ثم قامتْ على قدميها، وأشرفتْ على المجلسِ، وشرعَتْ في الخطبة، إظهاراً لكمالات محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وإعلاناً بأنّا نصبرُ لرضاء الله، لا لخوفٍ ولا دهشةٍ، فقامَتْ إليه زينب بنت عليٍّ، وأمُها فاطمة بنت رسول الله، وقالت:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصّلاةُ على جدّي سَيّد المُرسَلينَ. صدقَ اللهُ سبحانَه، كذلك يقولُ: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون الروم ١٠.

أظننت يا يزيدُ حينَ أخذتَ علينا أقطارَ الأرضِ، وضيقْتَ علينا آفاقَ السّماءِ، فأصبحنا لكَ في إسارٍ، نُساقُ إليكَ سَوْقاً في قِطارٍ، وأنْتَ علينا ذو اقتدارٍ، أنّ بنا من الله هواناً، وعليكَ منه كرامةً وامتناناً، وأنّ ذلك لعظمِ خطركَ وجلالةِ قدركَ، فشمخْتَ بأنفِكَ، ونظرْتَ في عطفِكَ، تضربُ أصدريْكَ فرحاً، وتنفضُ مذرويْكَ مرحاً، حين رأيْتَ الدنيا لكَ مستوسقةً، والأمورَ لديك متسقةً، وحين صفا لكَ ملكُنا، وخلُصَ لك سلطانُنا، فَمَهْلاً مَهْلا، لا تطشْ جَهْلاً، أنسيتَ قولَ اللهِ (عزّ وجلّ): «وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ آل عمران١٧٨. أمِنْ العدلِ ـ يا بن الطلقاء ـ تخديرُك حرائرَكَ وإماءَكَ وسوقُك بنات رسولِ اللهِ سَبايا، قد هُتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدُوا بهنّ الأعداءَ من بلدٍ إلى بلدٍ، ويستشرفُهنَّ أهلُ المناقل، ويتبرزنَ لأهلِ المناهل، ويتصفحُ وجوههنَّ القريبُ والبعيدُ، والشّريفُ والوضيعُ، والدّنيءُ والرفيعُ، ليْسَ معهنّ مِنْ رجالِهنّ وليٌّ، ولا مِنْ حُماتهنَّ حميٌّ، عتواً مِنكَ على اللهِ، وجحوداً لرسولِ اللهِ، ودَفعاً لما جاءَ به من عِند اللهِ. ولا غَرو منكَ ولا عَجبُ من فعلِكَ، وأنّى ترتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكبادَ

الشّهداءِ، ونَبتَ لحمُهُ بدماءِ السّعداءِ، ونَصبَ الحربَ لسّيدِ الأنبياءِ، وجمعَ الأحزابَ، وشهرَ الحرابَ، وهزَّ السّيوفَ في وجه رسولِ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم). أشدُّ العربِ لله جحوداً، وأنكرُهم له رسولاً، وأظهرُهم له عدواناً، وأعتاهم على الرّبِ كفراً وطغياناً. ألا إنّها نتيجةُ خلالِ الكفرِ، وصبٌ يجرجرُ في الصدرِ لقتلى يومِ بدرٍ. فلا يستبطئ في بغضِنا ـ أهلَ البيتِ ـ مَنْ كانَ نظره إلينا شنفاً وإحناً وأضغاناً، يظهر كفره برسول الله، ويفصح ذلك بلسانه وهو يقولُ ـ فرحاً بقتلِ ولده وسبي ذريته،يرمتحوب ولا مستعظم، يهتف بأشياخه:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ولقالوا: يا يزيدُ: لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبدِ اللهِ ـ وكانتْ مقبلَ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ينكتُها بمخصرته، قد التمعَ السرورُ بوجهِهِ. لعمري لقد نكأتَ القرحةَ، واستأصلتَ الشأفةَ، بإراقتِكَ دمَ سيّدِ شبابِ أهلِ الجنةِ، وابن يعسوب الدينِ، وشمس آل عبدِ المطلبِ. وهتفْتَ بأشياخِكَ، وتقربْتَ بدمِهِ إلى الكفرةِ من أسلافِكَ، ثُم صرختَ بندائِك، ولعمري لقد ناديتَهم لو شهدوكَ، ووشيْكاً تشهدُهُم ولن يشْهدُوكَ، ولتودُ يمينَكَ ـ كما زعمتَ ـ شُلّتْ بك عن مرفقِها وجُذتْ، وأحببت أمكَ لم تحملك، وإياكَ لم تلدْ، حين تصيرُ إلى سخطِ الله، ومخاصمِكَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم). اللهم خُذْ بحقِنا، وانتقمْ من ظالمِنا، واحلُلْ غضبَك على مَنْ سفكَ دماءَنا، ونقضَ ذمارَنا، وقتلَ حماتَنا، وهتكَ عنّا سدولَنا. وفعلْتَ فعلتَكَ التي فعلتَ، وما فريْتَ إلا جلدَكَ، وما جزرْتَ إلاّ لحمَكَ، وسترِدُ على رسولِ اللهِ بما تحملتَ من دمِ ذريتِهِ، وانتهكْتَ من حرمتِه، وسفكْتَ من دماءِ عترتِهِ ولحمتِهِ، حيثُ يجمعُ به شملَهم، ويلم به شعثَهم، وينتقمُ من ظالمِهِم، ويأخذُ لهم بحقِهم من أعدائِهم، فلا يستفزنكَ الفرحُ بقتلهم، «وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ [١٧٣] . وحسْبُكَ باللهِ وليّاً وحاكِماً، وبرسولِ اللهِ خَصْماً، وبجبرائيل ظهيراً. وسيعلمُ مَنْ بوّأكَ ومكّنَكَ من رقابِ المسلمينَ أنّ «بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً [١٧٤]وأيكم« شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً [١٧٥] . وما استصغاري قدرك، ولا استعظامي تقريعك توهماً لانتجاع الخطاب فيك، بعد أنْ تركْتَ عيونَ المسلمينَ به عبرى، وصدورهم عند ذكره حرى. فتلكَ قلوبٌ قاسيةٌ، ونفوسٌ طاغيةٌ، وأجسامٌ محشوةٌ بسخطِ اللهِ، ولعنةِ الرسولِ، قد عشّشَ فيها الشيطانُ وفرّخَ، ومن هناك مثلكَ ما درجَ. فالعجبُ كلّ العجبِ لقتلِ الأتقياءِ، وأسباطِ الأنبياءِ، وسليلِ الأوصياءِ، بأيدي الطلقاءِ الخبيثةِ، ونسلِ العَهَرةِ الفَجَرةِ!! تنطفُ أكفُهم من دمائِنا، وتتحلبُ أفواهُهم من لحومِنا. تلكَ الجثثُ الزاكيةُ على الجبوبِ الضّاحيةِ، تنتابُها العواسلُ، وتعفرُها أمهاتُ الفواعلِ. فلئِنْ اتخذتنا مغنماً،

لتجد بنا ـ وشيكاً ـ مغرماً، حين لا تجدُ إلاّ ما قدمَتْ يداكَ، وما اللهُ بظلاّمٍ لِلعَبِيدِ. فإلى اللهِ المُشتكى والمعولُ، وإليه الملجأُ والمؤملُ. ثم كِدْ كيدَكَ، واجهد جهدَك. فو اللهِ الذي شرّفنا بالوحي والكتابِ، والنبوةِ والإنتخابِ، لا تدركُ أمدَنا، ولا تبلغُ غايتَنا، ولا تمحو ذكرَنا، ولا يرحضُ عنكَ عارَنا. وهل رأيُكَ إلاّ فندٌ؟ وأيامُك إلاّ عددٌ؟ وجمعُك إلاّ بددٌ؟ يوم ينادي المنادي: ألا لعنَ اللهُ الظالمَ العاديَ. والحمدُ للهِ الذي حكمَ لأوليائِهِ بالسّعادةِ، وختمَ لأصفيائِهِ بالشّهادةِ، ببلوغِ الإرادةِ، ونقلَهُم إلى الرحمةِ والرأفةِ، والرضوانِ والمغفرةِ. ولم يشقَ بهم غيرَكَ، ولا ابتلى بهم سِواكَ. ونسأله أنْ يكملَ لهم الأجرَ، ويجزلَ لهم الثوابَ والذخرَ، ونسأله حُسنَ الخلافةِ، وجَميلَ الإنابةِ، إنّه رحيمٌ ودودٌ .

فقال يزيد ـ مجيباً لها:

يا صيحةً تحمدُ من صوائح ما أهونَ الموتَ على النوائحِ

الهوامش

(٢) علم لغة النص ١٢٧.

(٣) ينظر: بلاغة الخطاب ٣٢٨ ــ ٣٢٩.

(٤) ينظر: علم لغة النص ١٢٤- ١٢٧.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢١/ ٦٩.

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم ٤/ ٣٥٣.

(٧) ينظر: الكشاف ٣/ ٤٧٥.

(٨) التحرير والتنوير ٢١/ ٦٩.

(٩) ينظر: التحرير والتنوير ٤/ ١٧٤.

(١٠) ينظر: مفاتيح الغيب ٩/ ١٠٩.

(١١) ينظر: التحرير والتنوير ٤/ ١٧٥.

(١٢) التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٥٩ ـ ٦٢.

(١٣) الكامل في التاريخ ٢/ ١٢٦.

(١٤) ينظر: الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ٦/ ١٥.

(١٥) ينظر: شعر عبد الله بن الزبعرى، ٩٣.

(١٦) سورة آل عمران ١٦٩ـ١٧٠

[١٧] ينظر: مفتاح الغيب، ٩/ ٩٠.

[١٨] ينظر: البحر المحيط، ٣/ ١١٧ - ١١٨.

[١٩] في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة ٢٢٨.

[٢٠] علم لغة النص، فان دايك، ٤٦.

[٢١] ينظر: العين مادة (جمل) ١٤٢/٦، والقاموس المحيط، مادة (جمل) ٣/ ٧١، والمعجم الوسيط ١٣٦.

[٢٢] ينظر: جمهرة اللغة مادة (جمل) ٢/ ١١، والقاموس المحيط، مادة (جمل) ٣/ ٧١.

[٢٣] مقاييس اللغة، مادة (جمل) ١/ ٤٨١.

[٢٤] التعريفات ١٠.

[٢٥] الكليات ٤٢.

[٢٦] العين، مادة (فصل) ١٢٦/٧

[٢٧] مقاييس اللغة، مادة (فصل)، ٤/ ٥٠٥.

[٢٨] التعريفات ١٠.

[٢٩] ينظر: أصول تحليل الخطاب ٢/ ١٠٣.

[٣٠] ينظر: الكتاب ٣/ ١٧٦، ومعاني النحو ٤/ ٢٠١.

[٣١] ينظر: الكتاب ٣/ ١٧٦، ومعاني النحو ٤/ ٢٠١.

[٣٢] ينظر: التطور النحوي للغة العربية ١٠١، ومعاني النحو ٤/ ٢٧٤.

[٣٣] ينظر: المتبع في شرح اللّمع ١/ ٣٤٧.

[٣٤] نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ١٧٨.

[٣٥] ينظر: بناء الجملة العربية ١٣٥- ١٣٧، والوظائف الدلالية للجملة العربية ١٧٨.

[٣٦] العين، مادة (عمّ)، ١/ ٩٤.

[٣٧] ينظر: الصحاح، مادة (عمم)، ٥/ ١٩٩٣.

[٣٨] التعريفات ١١٩.

[٣٩] المتبع في شرح اللّمع ٢/ ٥٣٨.

[٤٠] المفردات في غريب القرآن ٤٣٩.

[٤١] ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج ٢/ ٩٨، ومعاني النحو ٢/ ٩٨.

(٤٢) ينظر: شرح المفصل ١/ ١٠٠، بناء الجملة العربية، ٢١١.

(٤٣) ينظر: المتبع في شرح اللّمع ٢/ ٥٢٨.

(٤٤) في النحو العربي نقد وتوجيه ٣١٠.

(٤٥) ينظر: نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية ٢٠٢.

(٤٦) ينظر: شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ١٨٢ - ١٨٣.

(٤٧) ينظر: الجنى الداني ٣٠٦.

(٤٨) ينظر: الكتاب ١/ ٢٧، والمقتضب ٤/ ٤٢٠، ومعاني النحو ٣/ ٧٠.

(٤٩) ينظر: العين، مادة (خصّ) ٤/ ١٣٤، والصحاح، مادة (خصص) ٣/ ١٠٣٧.

(٥٠) التعريفات ٧٨، والكليات ٤١٤.

(٥١) ينظر: مراعاة المخاطب في النحو العربي ١٢٠.

(٥٢) الكتاب ٢/ ٥.

(٥٣) المقتضب ٤/ ٢٧٦.

(٥٤) مراعاة المخاطب في النحو العربي ١٢٧.

(٥٥) المقتضب ٤/ ٣٢٠.

(٥٦) ينظر: معاني النحو ١/ ٦٦.

(٥٧) ينظر: بناء الجملة العربية ١٣٥- ١٣٦، والدلالة والتقعيد النحوي ٢١٧.

(٥٨) اللغة العربية معناها ومبناها ١٩٥.

(٥٩) المتبع في شرح اللّمع ١/ ٣١٠.

(٦٠) دلائل الإعجاز ١٥٣.

(٦١) في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٦٥.

(٦٢) استراتيجيات الخطاب ٤٦.

(٦٣) المتبع في شرح اللّمع ١/ ٣٠٣، وشرح الرضي على الكافية ١/ ٢٩٦.

(٦٤) ينظر: الوظائف الدلالية للجملة العربية ١٢٨، والدلالة والتقعيد النحوي ٢١٧.

(٦٥) ينظر: شرح الرضي على الكافية ١/ ٢٩٨.

(٦٦) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ١٨٩.

(٦٧) معاني النحو ٢/ ٦٣١.

(٦٨) المفردات في غريب القرآن ٤٧٩.

(٦٩) ينظر: شرح الرضي على الكافية ١/ ٣٠٦، ومعاني النحو ٢/ ١٤٤.

(٧٠) ينظر: العين مادة (قبل)، ٥/ ١٦٦، والصحاح، مادة (قبل)، ٥/ ١٧٩٧.

(٧١) ينظر: مقاييس اللغة، مادة (قبل)، ٥/ ٥١.

(٧٢) التعريفات ١٦٢.

(٧٣) Encyclopedic world Dictionary, P. ١٠٢، وظاهرة التقابل الدلالي، ١٥.

(٧٤) ينظر: علم الدلالة، بالمر ١٠٩.

(٧٥) علم الدلالة، أحمد مختار عمر ١٩١.

(٧٦) أساس البلاغة ٣٥٦.

(٧٧) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ١٦١.

(٧٨) العين : مادة (قرب) ٥/ ١٥١.

(٧٩) مقاييس اللغة ٤/ ٣٠٤.

(٨٠) مقاييس اللغة ٣/ ٢٢١.

(٨١) ينظر المعجم الاشتقاقي ١١٧٨.

(٨٢) ينظر: معاني الأبنية ١١٧.

(٨٣) ينظر: لسان العرب، ٩/ ١٦٨.

(٨٤) ينظر: العين، مادة (دنؤ، دنو)، ٨/ ٧٥، والمفردات في غريب القرآن ١٩٧.

(٨٥) ينظر: أساس البلاغة، مادة (رفع)، ٢٤١

(٨٦) ينظر: عمدة الحفّاظ في شرح أشرف الألفاظ ٢/ ٣٩٢.

(٨٧) ينظر: عمدة الحفاظ في شرح أشرف الألفاظ ٢/ ٣٩٢، والمفردات في غريب القرآن ٣٠٣.

(٨٨) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ١٥٢.

(٨٩) ينظر: الصحاح، ٦/ ٢٢١٨.

(٩٠) ينظر: المصدر نفسه، ٥/ ٢٠٢١.

(٩١) ينظر: العين ٢/ ٢٠٧.

(٩٢) ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٢١٣.

(٩٣) لسانيات الخطاب ٣٩.

[٩٤] ينظر: العين مادة (كرّ)، ٥/ ٢٧٧، والصحاح ٣/ ١٦٩.

[٩٥] مقاييس اللغة ٥/ ١٢٦.

[٩٦] ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ٣٨٨٢.

[٩٧] التعريفات ٥٢.

[٩٨] البناء الصوتي في البيان القرآني ٨٨.

[٩٩] ينظر: أسرار البلاغة ١٦- ١٨.

[١٠٠] المفردات في غريب القرآن ٣٧٧.

[١٠١] ينظر: الصحاح ١/ ٣٩٠.

[١٠٢] المفردات في غريب القرآن ٤٦٨.

[١٠٣] ينظر الصحاح: ١/ ٤٠٤.

[١٠٤] أثر التكرار في التماسك النصي ٢٨.

[١٠٥] ينظر: الصحاح ٤/ ١٥٦٦.

[١٠٦] ينظر العين ٥/ ١٩١.

[١٠٧] ينظر: الصحاح ٤/ ١٥٦٦.

[١٠٨] ينظر: الصورة الأدبية في القرآن ٨٧.

[١٠٩] نسيج النص ١١٩.

[١١٠] البناء الصوتي في القرآن ٩١.

[١١١] ينظر: علم الأصوات ١١١، وعلم التجويد دراسة صوتية ميسرة ٦٦، ٦٩.

[١١٢] ينظر: المفردات في غريب القرآن ٤٧٩.

[١١٣] ينظر: شرح الرضي على الكافية ٣٠٦/١ ، ومعاني النحو٢/ ١٤٣- ١٤٤.

[١١٤] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ٣٥٢.

[١١٥] ينظر: لسانيات الخطاب ٣٩.

[١١٦] سورة آل عمران ١٦٩- ١٧٠.

[١١٧] التكرير بين المثير والتأثير ١٣٦.

[١١٨] نسيج النص ١١٩.

[١١٩] عناصر الاتساق والانسجام قراءة نصية تحليلية في قصيدة أغنية لشهر أيار ٥٣١.

(١٢٠) الكتاب، ١/ ٣٢٥، وينظر: شرح ابن عقيل ٢/ ١٤٠.

(١٢١) ينظر: عتبات النص البنية والدلالة ١٠ - ١١.

(١٢٢) أثر التكرار في التماسك النصي ٢٤.

(١٢٣) ينظر الصحاح ٥/ ١٩٨٧.

(١٢٤) ينظر: الصحاح ٤/ ١٦٥٨.

(١٢٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن ١٠٢.

(١٢٦) ينظر: العين٥/ ١١٣.

(١٢٧) المعجم الوسيط، ٧١٨.

(١٢٨) العين ٧/ ١٦٢.

(١٢٩) ينظر: مقاييس اللغة ٣/ ٢٩٢.

(١٣٠) ينظر: العين ٢/ ١٨٦.

(١٣١) مقاييس اللغة ٢٠٨.

(١٣٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن ١٧٥.

(١٣٣) ينظر: لسان العرب، مادة (سلط)٢٣١/٧ .

(١٣٤) ينظر مقاييس اللغة ، مادة (سلط) ٣/ ٩٥.

(١٣٥) مقاييس اللغة ١/ ٣٧٩.

(١٣٦) الصحاح ٣/ ١١٩٨.

(١٣٧) المصدر نفسه ٥/ ٢٠٣١.

(١٣٨) أثر التكرار في التماسك النصي ٤٨.

(١٣٩) ينظر: اللغة وعلم اللغة ١٤٣- ١٤٤.

(١٤٠) ينظر: بنية الأساليب النحوية في الأداء القرآني ١٨.

(١٤١) ينظر: نحو النص ٩.

(١٤٢) العين، مادة (حول) ٣/ ٢٩٨.

(١٤٣) ينظر: أساس البلاغة ١٤٨.

(١٤٤) ينظر: المعجم الوسيط، ٢٠٩.

(١٤٥) ينظر: تحليل الخطاب ٣٦، ونحو النص ١١٦.

(١٤٦) ينظر: لسانيات الخطاب ١٧.

(١٤٧) ينظر: أصول تحليل الخطاب ٢/ ١١٠٦ ـ ١١٠٧.

(١٤٨) ينظر: منهج في التحليل النصي للقصيدة تنظير وتطبيق ١٢٣.

(١٤٩) ينظر: نتائج الفكر ١٧٠، ومراعاة المخاطب في النحو العربي ١٢٢.

(١٥٠) ينظر: نتائج الفكر ٧٤، ومراعاة المخاطب في النحو العربي ١٢٦.

(١٥١) ينظر: لسانيات النص ١٨.

(١٥٢) بنية الخطاب من الجملة إلى النص ١٣٧.

(١٥٣) ينظر: لسانيات الخطاب ١٩.

(١٥٤) المقتضب، ٣/ ٢٢٥.

(١٥٥) ينظر: مراعاة المخاطب في النحو العربي، ١٣٠.

(١٥٦) المتبع في شرح اللمع، ٢/ ٦٣٣.

(١٥٧) ينظر: نسيج النص، ١٠٨.

(١٥٨) ينظر: شرح المفصل، ٣/ ١٥٤.

(١٥٩) ينظر: معاني النحو، ١/ ١١٩- ١٢٣.

(١٦٠) الكشاف، ٣/ ٥٣٠.

(١٦١) ينظر: العين، مادة (وصل)، ٧/ ١٥٢، والصحاح، مادة (وصل)، ٥/ ١٨٤٣.

(١٦٢) مقاييس اللغة، مادة (وصل)، ٦/ ١١٥.

(١٦٣) التعريفات ٢٠٤.

(١٦٤) ينظر: لسانيات النص ٢٣.

(١٦٥) نسيج النص ٣٧.

(١٦٦) البنية التركيبية في الخطاب الشعري ٢٠.

(١٦٧) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب ٤١٠، والجنى الداني ٢٥٤- ٢٥٥، وأساليب الوصل وأدواته في العربية بين القديم والحديث ٧٦- ٧٧.

(١٦٨) ينظر: أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم ١٢٠.

(١٦٩) نحو المعاني ٩٦.

(١٧٠) أساليب العطف في القرآن الكريم ١١٦.

[١٧١] المصدر نفسه ١٧٥.

[١٧٢] الاحتجاج، ٢/ ٢٨٤- ٢٨٧.

[١٧٣] سورة آل عمران ١٦٩ -١٧٠

[١٧٤] سورة الكهف ٥٠

[١٧٥] سورة الفرقا

المصادر والمراجع العربية

- الإبهاج في شرح المنهاج: علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ)، كتب هوامشه وصحّحه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤.
- الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مكتبة (ذو الجناحين)، النجف الأشرف، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٣٢ه، - ٢٠١١م.
- إرشاد العقل السليم، أبو السعود بن محمد العمادي (٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، مطبعة السعادة، القاهرة، (د. ت).
- أساس البلاغة: جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م.
- أساليب العطف في القرآن الكريم: د. مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
- أساليب الربط وأدواته في العربية بين القديم والحديث (دراسة تطبيقية): صباح دعير، إيلاف للطباعة (د. ت).
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، توزيع دار أويا، طرابلس – ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.
- أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)، محمد الشاوش، جامعة منوبة- كلية الآداب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، سلسلة اللسانيات، المجلد ١٤، تونس، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- البحر المحيط: أبو حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: د. جميل عبد المجيد، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
- بلاغة الخطاب وعلم النّص: د. صلاح فضل، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، مطبعة دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

- بناء الجملة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- البناء الصوتي في البيان القرآني: د. محمد حسن شرشر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، (د. ت).
- البنية التركيبية في الخطاب الشعري، قراءة تحليلية للقصيدة العربية في القرنين السابع والثامن الهجريين – العصر المملوكي: د. يوسف اسماعيل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سلسلة الدراسات (١٠)، دمشق، ٢٠١٢م.
- تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.
- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت ٤٦٠هـ)، قدم له الشيخ أغا بزرك الطهراني،دار إحياء التراث العربي،بيروت،(د. ت).
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، (د. ت).
- التعريفات: السّيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- التطور النحوي للغة العربية: برجشتراسر، مكتبة الخانجي – القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- التكرير بين المثير والتأثير: عزّ الدين علي السّيد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
- جمهرة اللغة: أبو بكر محي بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، حقّقه وقدّم له: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (ت)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: د. سعيد بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ، - ٢٠٠٥م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تصحيح الشيخ محمد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩ه – ١٩٨٨م.
- الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه: د. محمد سالم صالح، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: عبد الرحمن السّهيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، (د. ت).
- شرح تنقيح الأصول في اختصار المحصول في الأصول: شهاب الدين احمد بن إدريس القرافي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.
- شرح الرضي على الكافية: محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط٢، ١٣٨٤هـ.

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل (ت٧٦٩ هـ)، تحقيق: د. هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢هـ، ١٩٩٩م.
- الصورة الأدبية في القرآن الكريم: د. صلاح الدين عبد التواب، مكتبة لبنان ناشرون – الشركة المصرية العالمية للكتاب لونجمان، مطبعة دار نوبار للطباعة – القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- شعر عبد الله بن الزبعرى: تحقيق: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
- عتبات النص، البنية والدلالة: عبد الفتاح الحجمري، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ط٨، ١٩٩٦م.
- علم الأصوات: برتيل مالمبرج، تعريب ودراسة: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ١٩٨٥م.
- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: د. غانم قدوري الحمد، مطبعة أسعد، بغداد، ط١، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م.
- علم الدلالة: أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٢ه – ١٩٨٢م.
- علم الدلالة: أف. أر. بالمر، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٥م.
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع – لونجمان، مطبعة دار نوبار، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات: تون. أ. فان دايك، ترجمة: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، سلسلة المعاجم والفهارس.
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة: د. سعد مصلوح ،جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمي،لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ٢٠٠٣م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة علم وأثر (٥)، بغداد، ط٢، ٢٠٠٥م.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م.
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص: د. أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، مطبعة الكرامة، الرباط، (د. ت).
- الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: أبو الفداء عبد القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م.
- الكتاب: سيبويه(ت ١٨٠هـ)،تحقيق: عبد السّلام محمد هارون،القاهرة، ١٩٧٥م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)،دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٨.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
- لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، د. نعمان بوقرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
- لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، الناشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
- اللغة العربية معناها ومبناها: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د. ت).
- اللغة وعلم اللغة: جونز ليونز، دار النهضة العربية، ط١، (د. ت).
- المتّبع في شرح اللّمع: أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الحميد حمد محمد محمود الزوي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م.
- معاني الأبنية: د. فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، تسلسل التنضيد (٢٠)، ط١، ١٩٨١.
- معاني النحو:د. فاضل السامرائي،دار الفكر،عمّان، ط٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل بيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم وأصواتها وبين معانيها: د. حسن طبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- المعجم الوسيط: د. إبراهيم أنيس وآخرون، دار الأمواج، بيروت، ط٢، ١٤١٠ه – ١٩٩٠م.
- مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد الرازي (ت ٦٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠١ه – ١٩٨١م.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، راجعه وقدّم له وائل أحمد عبد الرزاق، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- المفصّل في صنعة الإعراب: جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، قدّم له أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- المقتضب: محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
- نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي: أحمد عفيفي، الناشر مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- نسيج النصّ بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً: الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨م.
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: د. مصطفى حميدة، مكتبة ناشرون لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.
- الوظائف الدلالية للجملة العربية دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظرية والتطبيق: د. محمد رزق شعير، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

المصادر الأجنبية:

HAMLYN, Encyclopedic world Dictionary, London, ١٩٧٦.

البحوث والرسائل الجامعية:

- أثر التكرار في التماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف: د. نوال بنت ابراهيم الحلوة، مجلة جامعة أم القرى للعلوم واللغات وآدابها، العدد الثامن، رجب ١٤٣٣ ه – مايو ٢٠١٢م.
- ظاهرة التقابل الدلالي: د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، العدد ١٠، ١٩٨٤- ١٩٨٥.
- عناصر الاتّساق والانسجام، قراءة نصيّة تحليلية في قصيدة أغنية لشهر أيار لعبد المعطي حجازي: يحيى عبابنة، آمنة صالح الزعبي، مجلة جامعة دمشق، مجلد ٢٩، العدد ٢٩١، ٢٠١٣م.
- منهج في التحليل النصي للقصيدة: د. محمد حماسة عبد اللطيف، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، ١٩٩٦م.
- ميزان الأصول في نتائج العقول، علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد (ت ٥٣٩هـ)، تحقيق: عبد الملك عبد الرحمن السعدي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، مجلد ٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.